سلسلة متون معهد السُّنّة - رقم (٣٧) / جزء عمّ
النسخة الأولى (١٤٤٣)

تيسِير الكَريم الرَّحمن

في تَفسِير كَلام المنَّان

جزء عمّ (من النبأ إلى الناس)

لعبد الرحمن بن ناصر السعدي

توفي سنة ١٣٧٦ هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

بسم الله الرحمن الرحيم

تنبيه

اعلم أنَّ طريقتي في هذا التفسير أنِّي أذكرُ عند كلِّ آيةٍ: ما يحضُرني من معانيها، ولا أكتفي بذكر ما تعلَّق بالمواضع السابقة عن ذكر ما تعلَّق بالمواضع اللَّاحقة؛ لأن الله وصف هذا الكتاب أنَّه (مثاني) تثنَّىٰ فيه الأخبار والقصص والأحكام، وجميع المواضيع النَّافعة لحكمٍ عظيمة، وأمر بتدبُّره جميعه، لما في ذلك من زيادة العلوم والمعارف، وصلاح الظاهر والباطن، وإصلاح الأمور كلها.

تَفْسِيرُ سُورَةِ عَمَّ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٥﴾ [النبأ]

[١-٥] أي: عن أيِّ شيءٍ يتساءل المكذِّبون بآياتِ الله؟ ثم بيَّنَ ما يتساءلون عنه؛ فقال: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ﴾؛ أي: عن الخبر العظيم الذي طال فيه نزاعُهم، وانتشر فيه خلافهم علىٰ وجه التكذيب والاستبعاد، وهو النَّبأ الذي لا يقبل الشكَّ ولا يدخلُه الريب؛ ولكن المكذبون بلقاء ربهم لا يؤمنون، ولو جاءتهم كل آية حتىٰ يروا العذاب الأليم.

ولهذا قال: ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ﴾؛ أي: سيعلمون إذا نزل بهم العذاب ما كانوا به يكذِّبون، حين ﴿يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ١٣﴾ [الطور]، ويقال لهم: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤﴾ [الطور].

ثم ذَكَر تعالىٰ النعم والأدلة الدالة علىٰ صدق ما جاءت به الرُّسل فقال:

﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدًا ٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادًا ٧ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجًا ٨ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتًا ٩ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا ١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ١١ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعًا شِدَادًا ١٢ وَجَعَلۡنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ١٣ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ١٤ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ١٦﴾ [النبأ]

[٦-١٦] أي: أمَا أنعمنا عليكم بنعمٍ جليلة، فجعلنا لكم ﴿ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدًا﴾؛ أي: ممهَّدة مذلَّلة لكم ولمصالحكم، من الحروث والمساكن والسُّبل.

﴿وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادًا﴾: تُمسِك الأرض لئلا تضطرب بكم وتميد.

﴿وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾؛ أي: ذكورا وإناثًا من جنس واحد؛ ليسكن كل منهما إلىٰ الآخر، فتتكوَّن المودةُ والرحمة، وتنشأ عنهما الذُّرّية، وفي ضمن هذا الامتنان، بلذة المَنكح.

﴿وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا﴾؛ أي: راحة لكم، وقطعا لأشغالكم، التي متىٰ تمادت بكم أضرّت بأبدانكم، فجعل الله الليل والنوم يُغشي الناس لتسكن حركاتهم الضّارة، وتحصل راحتهم النافعة.

﴿وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا﴾؛ أي: سبع سماوات، في غاية القوّة، والصلابة والشِّدة، وقد أمسكها الله بقدرته، وجعلها سقفًا للأرض، فيها عدة منافع لهم، ولهذا ذكر من منافعها الشَّمس؛ فقال: ﴿وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا﴾ نبَّه بالسراج علىٰ النِّعمة بنورها، الذي صار كالضرورة للخلق، وبالوهّاج وهي حرارتها علىٰ ما فيها من الإنضاج والمنافع.

﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ﴾؛ أي: السَّحاب ﴿مَآءٗ ثَجَّاجٗا﴾؛ أي: كثيرًا جدًّا.

﴿لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا﴾ من بُرٍّ وشعير وذرة وأرز، وغير ذلك مما يأكله الآدميون.

﴿وَنَبَاتٗا﴾: يشمل سائر النبات، الذي جعله الله قوتًا لمواشيهم.

﴿وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا﴾؛ أي: بساتين ملتفَّةً، فيها من جميع أصناف الفواكه اللَّذيذة.

فالذي أنعم عليكم بهذه النِّعم الجليلة، التي لا يقدّر قدرها، ولا يحصىٰ عددها، كيف تكفرون به وتكذبون ما أخبركم به من البعث والنشور؟! أم كيف تستعينون بنعمه علىٰ معاصيه وتجحدونها؟

﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ١٧ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ٢٠ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ٢٤ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ٢٥ جَزَآءٗ وِفَاقًا ٢٦ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ٢٧ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ٢٨ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا ٢٩ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ٣٠﴾ [النبأ]

[١٧-٢٥] ذكر الله تعالىٰ ما يكون في يوم القيامة الذي يتساءل عنه المكذِّبون، ويجحده المعاندون، أنه يوم عظيم، وأنَّ الله جعله ﴿مِيقَٰتٗا﴾ للخلق.

﴿يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ فيأتون ﴿أَفۡوَاجٗا﴾ ويجري فيه من الزَّعازع والقلاقل ما يشيب له المولود، وتنزعج له القلوب، فتسير الجبال حتىٰ تكون كالهباء المبثوث، وتنشق السماء حتىٰ تكون أبوابًا، ويفصل الله بين الخلائق بحُكمه الذي لا يجور، وتوقد نار جهنم التي أرصدها الله وأعدها للطَّاغين،

وجعلها مثوىٰ لهم ومآبا، وأنَّهم يلبثون فيها أحقابا كثيرة، و(الحقب) علىٰ ما قاله كثير من المفسرين: ثمانون سنة؛ فإذا وردوها ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾؛ أي: لا ما يبرد جلودهم، ولا ما يدفع ظمأهم.

﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾؛ أي: ماءً حارًّا، يشوي وجوههم، ويقطع أمعاءهم، ﴿وَغَسَّاقًا﴾ وهو: صديد أهل النار، الذي هو في غاية النتن، وكراهة المذاق.

[٢٦-٣٠] وإنَّما استحقوا هذه العقوبات الفظيعة جزاء لهم وفاقًا علىٰ ما عملوا من الأعمال الموصلة إليها، لم يظلمهم الله؛ ولكن ظلموا أنفسهم، ولهذا ذكر أعمالهم، التي استحقوا بها هذا الجزاء، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾؛ أي: لا يؤمنون بالبعث، ولا أن الله يجازي الخلق بالخير والشر، فلذلك أهملوا العمل للآخرة.

﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا﴾؛ أي: كذبوا بها تكذيبا واضحا صريحا وجاءتهم البينات فعاندوها.

﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ من قليل وكثير، وخير وشر ﴿أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا﴾؛ أي: أثبتناه في اللوح المحفوظ، فلا يحسب المجرمون أنا عذَّبناهم بذنوب لم يعملوها، ولا يحسبوا أنه يضيع من أعمالهم شيء، أو ينسىٰ منها مثقال ذرة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف].

﴿فَذُوقُواْ﴾؛ أيُّها المكذبون هذا العذاب الأليم والخزي الدائم ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ فكل وقتٍ وحين يزداد عذابهم، وهذه الآية أشد الآيات في شدة عذاب أهل النار أجارنا الله منها.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ [النبأ]

[٣١-٣٦] لما ذكر حال المُجرمين؛ ذكر مآل المتقين فقال: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾؛ أي: الذين اتقوا سخط ربهم، بالتمسك بطاعته، والانكفاف عن معصيته؛ فلهم مفاز ومنجي، وبعدٌ عن النار. وفي ذلك المفاز لهم ﴿حَدَآئِقَ﴾ وهي: البساتين الجامعة لأصناف الأشجار الزاهية، في الثمار التي تتفجّر بين خلالها الأنهار، وخصّ العنب لشرفه وكثرته في تلك الحدائق.

ولهم فيها زوجات علىٰ مطالب النفوس ﴿كَوَاعِبَ﴾ وهي: النواهد اللاتي لم تتكسر ثديهن من

شبابهن، وقوتهن ونضارتهن.

(والأتْرَاب) اللَّاتي علىٰ سنٍّ واحدٍ متقارب، ومن عادة الأتراب أن يكن متآلفات متعاشرات، وذلك السِّنّ الذي هن فيه ثلاث وثلاثون سنة، في أعدلُ سن الشباب.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾؛ أي: مملوءةً من رحيق، لذَّةٍ للشاربين، ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾؛ أي: كلاما لا فائدة فيه ﴿وَلَا كِذَّبًا﴾؛ أي: إثمًا.

كما قال تعالىٰ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ۝٢٦﴾ [الواقعة].

وإنَّما أعطاهم الله هذا الثواب الجزيل من فضله وإحسانه ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾؛ أي: بسبب أعمالهم التي وفَّقهم الله لها، وجعلها سببا للوصول إلىٰ كرامته.

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۝٣٧ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ۝٣٨ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ۝٣٩ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ۝٤٠﴾ [النبأ]

[٣٧-٣٩] أي: الذي أعطاهم هذه العطايا هو ربّهم ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الذي خلقها ودبرها ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي رحمته وسعت كلَّ شيء، فرباهم ورحمهم، ولطَف بهم، حتىٰ أدركوا ما أدركوا.

ثم ذكر عظمته ومُلكه العظيم يوم القيامة، وأنَّ جميع الخلق كلهم ذلك اليوم ساكتون ذلك اليوم لا يتكلمون، و﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ إلَّا من أذن له الرحمن وقال صوابا، فلا يتكلم أحد إلا بهذين الشَّرطين: أن يأذن الله له في الكلام، وأن يكون ما تكلَّم به صوابا، لأن ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ﴾ هو ﴿ٱلْحَقُّ﴾ الذي لا يروج فيه الباطل، ولا ينفع فيه الكذب، وفي ذلك اليوم ﴿يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ وهو جبريلُ ﷺ، الذي هو أشرف الملائكة ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾؛ أيضًا يقوم الجميع ﴿صَفًّا﴾ خاضِعين لله ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ إلَّا بإذنه.

فلمَّا رغَّب ورهَّب، وبشَّر وأنذر؛ قال: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾؛ أي: عملًا وقدَم صدق يرجع إليه يوم القيامة.

[٤٠] ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ لأنه قد أزِف مُقبلا وكل ما هو آت فهو قريب.

﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾؛ أي: هذا الذي يهمُّه ويفزع إليه، فلينظر في هذه الدار ما قدم لدار القرار؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا

تَعْمَلُونَ ۝١٨﴾ [الحشر] الآيات.

فإن وجد خيرا فليحمد الله، وإن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، ولهذا كان الكفار يتمنَّون الموت من شدة الحسرة والندم.

نسأل الله أن يعافينا من الكفر والشَّر كله، إنه جواد كريم.

تمت

تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّازِعَاتِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ١٤﴾ [النازعات]

[١-٥] هذه الإقسامات بالملائكة الكرام، وأفعالهم الدالة علىٰ كمال انقيادهم لأمر الله، وإسراعهم في تنفيذه؛ يحتمل أن المقسم عليه الجزاء والبعث؛ بدليل الإتيان بأحوال القيامة بعد ذلك، ويحتمل أن المقسم عليه والمقسم به متّحدان، وأنه أقسم علىٰ الملائكة؛ لأن الإيمان بهم أحد أركان الإيمان الستة، ولأن في ذكر أفعالهم هنا ما يتضمّن الجزاء الذي تتولّاه الملائكة عند الموت وقبله وبعده، فقال: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ وهم الملائكة التي تنزع الأرواح بقوّة، وتغرق في نزعها حتىٰ تخرج الروح، فتجازىٰ بعملها.

﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾ وهم الملائكة أيضًا، تجتذب الأرواح بقوة ونشاط، أو أنّ النشط يكون لأرواح المؤمنين، والنزع لأرواح الكفار.

﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ﴾؛ أي: المترددات في الهواء صعودا ونزولا ﴿سَبۡحٗا﴾.

﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ﴾ لغيرها ﴿سَبۡقٗا﴾ فتبادر لأمر الله، وتسبق الشّياطين في إيصال الوحي إلىٰ رُسل الله لئلا تسترقه.

﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾ أي: الملائكة، الذين جعلهم الله أن يدبروا كثيرا من أمور العالم العلوي والسُّفلي، من الأمطار، والنبات، والأشجار، والرياح، والبحار، والأجنة، والحيوانات، والجَنة، والنار وغير ذلك.

[٦-٩] ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ وهي: قيام الساعة، ﴿تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾؛ أي: الرجفة الأخرىٰ التي تردفها وتأتي تِلوها، ﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ﴾؛ أي: منزعجة من شدّة ما ترىٰ وتسمع.

﴿أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ﴾؛ أي: ذليلة حقيرة، قد ملك قلوبهم الخوف، وأذهل أفئدتهم الفزع، وغلب عليهم التأسُّف واستولت عليهم الحسرة.

[١٠-١٤] ﴿يَقُولُونَ﴾؛ أي: الكفَّار في الدنيا، علىٰ وجه التكذيب: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ﴾؛ أي: بالية فُتاتا.

﴿قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ﴾؛ أي: استبعدوا أن يبعثهم الله ويُعيدهم بعدما كانوا عظاما نخرة، جهلًا منهم بقدرة الله، وتجرُّؤا عليه.

قال الله في بيان سهولة هذا الأمر عليه: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ ينفخ في الصور؛ فإذا الخلائق كلهم ﴿بِٱلسَّاهِرَةِ﴾؛ أي: علىٰ وجه الأرض، قيام ينظرون، فيجمعهم الله، ويقضي بينهم بحكمه العدل، ويجازيهم.

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ١٦ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ١٩ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ٢١ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ٢٥ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ٢٦﴾ [النازعات]

[١٥-٢٥] يقول الله تعالىٰ لنبيِّه محمد ﷺ: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ وهذا الاستفهام عن أمر عظيم متحقِّق وقوعه. أي: هل أتاك حديثه ﴿إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ وهو المحل الذي كلمه الله فيه، وامتن عليه بالرسالة، وابتعثه بالوحي، واجتباه؛ فقال له: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾؛ أي: فانهه عن طغيانه وشركه وعصيانه، بقولٍ لين، وخطاب لطيف، لعله ﴿يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ [طه].

﴿فَقُلۡ﴾ له: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾؛ أي: هل لك في خصلة حميدة، ومحمدة جميلة، يتنافس فيها أولو الألباب، وهي أن تزكِّي نفسك وتطهرها من دنس الكفر والطغيان، إلىٰ الإيمان والعمل الصالح؟

﴿وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾؛ أي: أدلّك عليه، وأبيِّن لك مواقع رضاه، من مواقع سخطه، ﴿فَتَخۡشَىٰ﴾ الله إذا علمت الصراط المستقيم، فامتنع فرعون ممّا دعاه إليه موسىٰ.

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾؛ أي: جنس الآية الكبرىٰ، فلا ينافي تعددها ﴿فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ

مُّبِينٌ ۝٣٢ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ۝٣٣﴾ [الشعراء].

﴿فَكَذَّبَ﴾ بالحق ﴿وَعَصَىٰ﴾ الأمر، ﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ﴾؛ أي: يجتهد في مبارزة الحقِّ ومحاربته، ﴿فَحَشَرَ﴾ جنوده أي: جمعهم، ﴿فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ﴾ لهم: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ فأذعنوا له وأقروا بباطله حين استخفَّهم، ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾؛ أي: جعل عقوبته دليلا وزاجرا، ومبينة لعقوبة الدنيا والآخرة.

[٢٦] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ﴾ فإن من يخشىٰ الله هو الذي ينتفع بالآيات والعِبر؛ فإذا رأىٰ عقوبة فرعون؛ عرف أن كل من تكبر وعصىٰ، وبارز الملك الأعلىٰ؛ يعاقبه في الدنيا والآخرة، وأما من ترحّلت خشية الله من قلبه، فلو جاءته كل آية لم يؤمن بها.

﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ۝٣١ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ۝٣٢ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ۝٣٣﴾ [النازعات]

[٢٧-٣٣] يقول تعالىٰ مبيِّنا دليلا واضحا لمنكري البعث ومستبعدي إعادة الله للأجساد: ﴿ءَأَنتُمۡ﴾؛ أيها البشر ﴿أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ﴾ ذات الجُرم العظيم، والخلق القوي، والارتفاع الباهر ﴿بَنَىٰهَا﴾ الله.

﴿رَفَعَ سَمۡكَهَا﴾؛ أي: جُرمها وصورتها، ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ بإحكامٍ وإتقان يحيِّر العقول، ويذهل الألباب، ﴿وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا﴾؛ أي: أظلمه، فعمَّت الظلمة جميع أرجاء السماء، فأظلم وجه الأرض، ﴿وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا﴾؛ أي: أظهر فيه النُّور العظيم، حين أتىٰ بالشمس، فانتشر الناس في مصالح دينهم ودنياهم.

﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: بعد خلق السَّماء ﴿دَحَىٰهَآ﴾؛ أي: أودع فيها منافعها.

وفسَّر ذلك بقوله: ﴿أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ۝٣١ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا﴾؛ أي: ثبّتها بالأرض، فدحىٰ الأرض بعد خلق السماء؛ كما هو نص هذه الآيات الكريمة، وأما خلق نفس الأرض؛ فمُقدم علىٰ خلق السماء؛ كما قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩﴾ [فُصِّلَت] إلىٰ أن قال: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [فُصِّلَت] فالذي خلق السموات العظام وما فيها من الأنوار والأجرام، والأرض الغبراء الكثيفة، وما فيها من ضروريات الخلق ومنافعهم، لا بد أن يبعث الخلق المكلّفين، فيجازيهم علىٰ أعمالهم؛ فمن أحسن فله الحسنىٰ، ومن

أساء فلا يلومن إلا نفسه، ولهذا ذكر بعد هذا القيام الساعة ثم الجزاء، فقال:

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات]

[٣٤-٣٦] أي: إذا جاءت القيامة الكبرىٰ، والشِّدة العظمىٰ، التي يهون عندها كلّ شدة؛ فحينئذ يذهل الوالد عن ولده، والصاحب عن صاحبه، وكل محبٍّ عن حبيبه. وَ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾ في الدنيا، من خير وشر، فيتمنىٰ زيادة مثقال ذرة في حسناته، ويغمّه ويحزن لزيادة مثقال ذرة في سيئاته.

ويعلم إذ ذاك أن مادة ربحه وخسرانه ما سعاه في الدنيا، وينقطع كلُّ سبب ووصلة كانت في الدنيا سوىٰ الأعمال.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾؛ أي: جُعلت في البراز، ظاهرة لكل أحد؛ قد هُيِّئت لأهلها، واستعدت لأخذهم، منتظرة لأمر ربها.

[٣٧-٣٩] ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾؛ أي: جاوز الحد، بأن تجرأ علىٰ المعاصي الكبار، ولم يقتصر علىٰ ما حده الله.

﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ علىٰ الآخرة فصار سعيُه لها، ووقته مستغرقًا في حظوظها وشهواتها، ونسي الآخرة وترك العمل لها. ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ له أي: المقر والمسكن لمن هذه حاله.

[٤٠-٤١] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: خاف القيام عليه ومجازاته بالعدل؛ فأثّر هذا الخوف في قلبه؛ فـ﴿نَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ﴾: هواها الذي يقيدها عن طاعة الله، وصار هواه تبعا لما جاء به الرسول، وجاهد الهوىٰ والشَّهوة الصادِّين عن الخير، ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ﴾ المشتملة علىٰ كل خير وسرور ونعيم ﴿هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ لمن هذا وصفه.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات]

[٤٢-٤٤] أي: يسألك المتعنتون المكذبون بالبعث ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ متىٰ وقوعها و﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ فأجابهم الله بقوله: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾؛ أي: ما الفائدة لك ولهم في ذكرها ومعرفة وقت مجيئها؟ فليس تحت ذلك نتيجة، ولهذا لمَّا كان علم العباد للساعة ليس لهم فيه مصلحة دينية ولا دنيوية؛ بل

المصلحة في خفائه عليهم، طوىٰ علم ذلك عن جميع الخلق، واستأثر بعلمه؛ فقال: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾؛ أي: إليه ينتهي علمها؛ كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [الأعراف:١٨٧].

[٤٥-٤٦] ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾؛ أي: إنما نذارتك نفعها لمن يخشىٰ مجيء الساعة، ويخاف الوقوف بين يدي الله، فهم الذين لا يهمهم سوىٰ الاستعداد لها والعمل لأجلها، وأما من لا يؤمن بها، فلا يُبالىٰ به ولا بتعنته، لأنه تعنت مبنيٌّ علىٰ العناد والتكذيب، وإذا وصل إلىٰ هذه الحال؛ كان الإجابة عنه عبثا، ينزه أحكم الحاكمين عنه.

تمت

والحمد لله رب العالمين.

تَفْسِيرُ سُورَةِ عَبَسَ
وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ١٠﴾ [عبس]

سبب نزول هذه الآيات الكريمات، أنه جاء رجل من المؤمنين أعمىٰ يسأل النبي ﷺ ويتعلم منه.

وجاءه رجل من الأغنياء، وكان ﷺ حريصًا علىٰ هداية الخلق، فمال ﷺ وأصغىٰ إلىٰ الغني، وصدَّ عن الأعمىٰ الفقير، رجاء لهداية ذلك الغني، وطمعًا في تزكيته، فعاتبه الله بهذا العتاب اللطيف، فقال:

[١-١٠] ﴿عَبَسَ﴾؛ أي: في وجهه ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ في بدنه، لأجل مجيء الأعمىٰ له، ثم ذكر الفائدة في الإقبال عليه، فقال: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ﴾؛ أي: الأعمىٰ ﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾؛ أي: يتطهّر عن الأخلاق الرذيلة، ويتّصف بالأخلاق الجميلة؟

﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾؛ أي: يتذكر ما ينفعه، فينتفع بتلك الذكرىٰ.

وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرّسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكِّرين، فإقبالك علىٰ من جاء بنفسه مفتقرًا لذلك منك، هو الأليق الواجب، وأما تصديك وتعرضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك من أهم منه؛ فإنه لا ينبغي لك، فإنه ليس عليك ألَّا يزكىٰ، فلو لم يتزكّ، فلست بمحاسب علىٰ ما عمله من الشر.

فدلّ هذا علىٰ القاعدة المشهورة؛ أنه: «لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة مصلحة متوهمة»؛ وأنه ينبغي الإقبال علىٰ طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره.

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ١٦ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩ ثُمَّ

ﭐلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس]

[١١-١٦] يقول تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ﴾؛ أي: حقًّا إنَّ هذه الموعظة تذكرة من الله، يذكر بها عباده، ويبين لهم في كتابه ما يحتاجون إليه، ويبيِّن الرُّشد من الغي، فإذا تبين ذلك ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾؛ أي: عمل به، كقوله تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف:٢٩].

ثم ذَكر محلَّ هذه التذكرة وعظمها ورَفع قدرها، فقال: ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ﴿١٣﴾ مَّرۡفُوعَةٖ﴾ القدر والرتبة ﴿مُّطَهَّرَةِۭ﴾ من الآفات وعن أن تنالها أيدي الشياطين أو يسترقوها؛ بل هي: ﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ﴾ وهم: الملائكة الذين هم السفراء بين الله وبين عباده، ﴿كِرَامِۭ﴾؛ أي: كثيري الخير والبركة، ﴿بَرَرَةٖ﴾ قلوبهم وأعمالهم.

وذلك كله حفظٌ من الله لكتابه؛ أن جعل السفراء فيه إلىٰ الرسل الملائكة الكرام الأقوياء الأتقياء، ولم يجعل للشياطين عليه سبيلًا، وهذا مما يوجب الإيمان به وتلقيه بالقبول.

[١٧-٢٣] ولكن مع هذا أبىٰ الإنسان إلا كُفورًا، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ لنعمة الله، وما أشد معاندته للحق بعد ما تبين، وهو ما هو؟ هو مِن أضعف الأشياء؛ خلقه الله من ماء مهين، ثم قدر خلقه، وسواه بشرا سويّا، وأتقن قواه الظاهرة والباطنة.

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾؛ أي: يسّر له الأسباب الدينية والدنيوية، وهداه السبيل، وبينه وامتحنه بالأمر والنهي، ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ﴾؛ أي: أكرمه بالدَّفن، ولم يجعله كسائر الحيوانات التي تكون جيفها علىٰ وجه الأرض، ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾؛ أي: بعثه بعد موته للجزاء؛ فالله هو المنفرد بتدبير الإنسان وتصريفه بهذه التصاريف، لم يشاركه فيه مشارك، وهو -مع هذا- لا يقوم بما أمره الله، ولم يقض ما فرضه عليه؛ بل لا يزال مقصرا تحت الطلب.

[٢٤-٣٢] ثم أرشده الله إلىٰ النَّظر والتفكُّر في طعامه، وكيف وصل إليه بعدما تكررت عليه طبقات عديدة، ويسره الله له فقال: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا﴾؛ أي: أنزلنا المطر علىٰ الأرض بكثرة.

﴿ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ﴾ للنَّبات ﴿شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا﴾ أصنافًا مصنفة من أنواع الأطعمة اللذيذة،

والأقوات الشهيّة ﴿حَبًّا﴾ وهذا شامل لسائر الحُبوب علىٰ اختلاف أصنافها، ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ وهو القَت، ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ وخصَّ هذه الأربعة لكثرة فوائدها ومنافعها.

﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾؛ أي: بساتين فيها الأشجار الكثيرة الملتفّة، ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ الفاكهة: ما يتفكَّه فيه الإنسان، من تينٍ وعنب وخوخ ورمان، وغير ذلك.

والأبّ: ما تأكله البهائم والأنعام، ولهذا قال: ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ التي خلقها الله وسخرها لكم، فمن نظر في هذه النِّعم أوجب له ذلك شُكر ربه، وبذل الجهد في الإنابة إليه، والإقبال علىٰ طاعته، والتَّصديق لأخباره.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ۝٤٢﴾ [عبس]

[٣٣-٤٢] أي: إذا جاءت صيحة القيامة، التي تُصَخُّ لهولها الأسماعُ، وتنزعج لها الأفئدة يومئذ، مما يرىٰ الناس من الأهوال وشدة الحاجة لسالف الأعمال؛ ﴿يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ﴾ من أعز الناس إليه، وأشفقهم لديه، ﴿مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾؛ أي: زوجته ﴿وَبَنِيهِ﴾ وذلك لأنه ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾؛ أي: قد أشغلته نفسه، واهتم لفكاكها، ولم يكن له التفاتٌ إلىٰ غيرها، فحينئذ ينقسم الخلق إلىٰ فريقين: سعداءٌ وأشقياء، فأمّا السعداء، فوجوههم يومئذ ﴿مُّسْفِرَةٌ﴾؛ أي: قد ظهر فيها السرور والبهجة، مما عرفوا من نجاتهم، وفوزهم بالنعيم، ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩﴾ وَوُجُوهُ الأشقياء ﴿يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا﴾؛ أي: تغشاها ﴿قَتَرَةٌ﴾ فهي سوداء مظلمة مدلهمّة، قد أيست من كل خير، وعرفت شقاءها وهلاكها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين بهذا الوصف ﴿هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾؛ أي: الذين كفروا بنعمة الله وكذبوا بآيات الله، وتجرأوا علىٰ محارمه.

نسأل الله العفو والعافية؛ إنه جواد كريم

والحمد لله ربِّ العالمين.

تَفْسِيرُ سُورَةِ التَّكْوِيرِ
وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ١١ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ١٣ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ١٤﴾ [التكوير]

[١-١٤] أي: إذا حصلت هذه الأمور الهائلة، تميّز الخلق، وعلم كلُّ ما قدمه لآخرته، وما أحضره فيها من خيرٍ وشر، وذلك إذا كان يوم القيامة تكور الشمس أي: تجمع وتلف، ويخسف القمر، ويلقيان في النار.

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾؛ أي: تغيرت، وتناثرت من أفلاكها.

﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ﴾؛ أي: صارت كثيبًا مهيلًا، ثم صارت كالعهن المنفوش، ثم تغيرت وصارت هباء منبثا، وأزيلت عن أماكنها، ﴿وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ﴾؛ أي: عطّل الناس يومئذ نفائس أموالهم التي كانوا يهتمون لها ويراعونها في جميع الأوقات، فجاءهم ما يُذهلهم عنها، فنبه بالعِشار؛ وهي: النوق التي تتبعها أولادها، وهي أنفس أموال العرب إذ ذاك عندهم، علىٰ ما هو في معناها من كل نفيس.

﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ﴾؛ أي: جُمعت ليوم القيامة، ليقتص الله من بعضها لبعض، ويرىٰ العباد كمال عدله، حتىٰ إنه يقتصُّ للشاة الجماء من الشاة القرناء ثم يقال لها: كوني ترابًا.

﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ﴾؛ أي: أوقدت فصارت -علىٰ عِظمها- نارا تتوقّد.

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾؛ أي: قُرن كل صاحب عمل مع نظيره، فجمع الأبرار مع الأبرار، والفجّار مع الفجار، وزوج المؤمنون بالحور العين، والكافرون بالشياطين، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ﴾ [الزُّمَر:٧١]، ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ﴾ [الزُّمَر:٧٣]،

﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ [الصافات:٢٢].

﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ﴾ وهي: التي كانت الجاهلية الجهلاء تفعله من دفن البنات وهن أحياء من غير سبب، إلا خشية الفقر، فتسأل: ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ﴾، ومن المعلوم أنها ليس لها ذنب، ولكن هذا فيه توبيخ وتقريع لقاتليها، ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ﴾ المشتملة علىٰ ما عمله العاملون من خيرٍ وشر ﴿نُشِرَتۡ﴾ وفرِّقت علىٰ أهلها، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾؛ أي: أزيلت، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ﴾ [الفرقان:٢٥] ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر:٦٧].

﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ﴾؛ أي: أوقد عليها فاستعرت والتهبت التهابا لم يكن لها قبل ذلك، ﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ﴾؛ أي: قُرِّبت للمتقين، ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ﴾؛ أي: كل نفس، لإتيانها في سياق الشرط.

﴿مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾؛ أي: ما حضر لديها من الأعمال التي قدّمتها؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ﴾ [الكهف:٤٩]، وهذه الأوصاف التي وصف الله بها يوم القيامة، من الأوصاف التي تنزعج لها القلوب، وتشتدّ من أجلها الكروب، وترتعد الفرائص، وتعم المخاوف، وتحث أولي الألباب للاستعداد لذلك اليوم، وتزجرهم عن كلِّ ما يوجب اللوم؛ ولهذا قال بعض السلف: من أراد أن ينظر ليوم القيامة كأنه رأيُ عين، فليتدبر سورة ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ٢٥ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ٢٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير]

[١٥-١٦] أقسم تعالىٰ ﴿بِٱلۡخُنَّسِ﴾ وهي الكواكب التي تخنس؛ أي: تتأخر عن سير الكواكب المعتاد إلىٰ جهة المشرق، وهي النجوم السبعة السيّارة: الشمس، والقمر، والزهرة، والمشترىٰ، والمريخ، وزحل، وعطارد. فهذه السبعة لها سيران: سير إلىٰ جهة المغرب مع سائر الكواكب والفلك، وسير معاكس لهذا من جهة المشرق تختص به هذه السبعة دون غيرها.

فأقسم الله بها في حال خنوسها أي: تأخُّرها، وفي حال جريانها، وفي حال كنوسها أي: استتارها بالنهار، ويحتمل أنَّ المراد بها جميع النجوم الكواكب السيارة وغيرها.

[١٧-١٨] ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾؛ أي: أدبر وقيل: أقبل، والنهار ﴿إِذَا تَنَفَّسَ﴾؛ أي: بدت علائم الصبح، وانشقّ النور شيئا فشيئا حتىٰ يستكمل وتطلع الشمس.

[١٩] وهذه آيات عظام، أقسم الله عليها لقوة سند القرآن وجلالته، وحفظه من كل شيطان رجيم؛ فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ وهو: جبريل ﷺ، نزل به من الله تعالىٰ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤﴾ [الشعراء] ووصفه اللهُ بالكريم لكرم أخلاقه، وكثرة خصاله الحميدة، فإنه أفضل الملائكة، وأعظمُهم رتبة عند ربه.

[٢٠] ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ علىٰ ما أمره الله به. ومن قوته أنه قلب ديار قوم لوط بهم فأهلكهم.

﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾؛ أي: جبريل مقرب عند الله، له منزلة رفيعة، وخصيصة من الله اختصه بها، ﴿مَكِينٖ﴾؛ أي: له مكانة ومنزلة فوق منازل الملائكة كلِّهم.

[٢١] ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ﴾؛ أي: جبريل مطاع في الملإ الأعلىٰ، لديه من الملائكة المقربين جنود، نافذ فيهم أمره، مطاعٌ رأيه، ﴿أَمِينٖ﴾؛ أي: ذو أمانة وقيام بما أُمر به، لا يزيد ولا ينقص، ولا يتعدَّىٰ ما حد له، وهذا كله يدلُّ علىٰ شرف القرآن عند الله تعالىٰ، فإنه بعث به هذا الملك الكريم، الموصوف بتلك الصفات الكاملة، والعادة أن الملوك لا تُرسل الكريم عليها إلا في أهم المهمّات، وأشرف الرسائل.

[٢٢] ولما ذكر فضل الرسول الملكي الذي جاء بالقرآن؛ ذكر فضل الرسول البشري الذي نزل عليه القرآن، ودعا إليه الناس؛ فقال: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ وهو محمّد ﷺ ﴿بِمَجۡنُونٖ﴾ كما يقوله أعداؤه المكذِّبون برسالته، المتقوِّلون عليه من الأقوال، التي يريدون أن يطفئوا بها ما جاء به؛ بل هو أكمل الناس عقلا وأجزلهم رأيا، وأصدقهم لهجة.

[٢٣] ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾؛ أي: رأىٰ محمد ﷺ جبريل ﷺ بالأفق المبين، الذي هو أعلىٰ ما يلوح للبصر.

[٢٤] ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ﴾؛ أي: وما هو علىٰ ما أوحاه الله إليه بمتهم يزيد فيه أو ينقص أو يكتم بعضه؛ بل هو ﷺ أمينُ أهل السماء وأهل الأرض، الذي بلَّغ رسالات ربه البلاغ المبين، فلم يشحَّ بشيء منه، عن غني ولا فقير، ولا رئيس ولا مرؤوس، ولا ذكر ولا أنثىٰ، ولا حضري ولا بدوي،

ولذلك بعثه الله في أمّة أمية، جاهلة جهلاء، فلم يمُت ﷺ حتىٰ كانوا عُلماء ربانيين، وأحبارًا متفرسين، إليهم الغاية في العلوم، وإليهم المنتهىٰ في استخراج الدّقائق والمفهوم، وهم الأساتذة، وغيرهم قصاراه أن يكون من تلاميذهم.

[٢٥] ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ لما ذكر جلالة كتابه وفضله بذكر الرسولين الكريمين، اللَّذين وصل إلىٰ الناس علىٰ أيديهما، وأثنىٰ اللهُ عليهما بما أثنىٰ، دفع عنه كلَّ آفة ونقص مما يقدح في صدقه، فقال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾؛ أي: في غاية البعد عن الله وعن قربه.

[٢٦] ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾؛ أي: كيف يخطر هذا ببالكم، وأين عزبت عنكم أذهانكم؟ حتىٰ جعلتم الحق الذي هو في أعلىٰ درجات الصِّدق بمنزلة الكذب، الذي هو أنزل ما يكون وأرذل وأسفل الباطل؟ هل هذا إلَّا من انقلاب الحقائق.

[٢٧] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ يتذكَّرون به ربهم، وما له من صفات الكمال، وما ينزّه عنه من النقائص والرذائل والأمثال، ويتذكَّرون به الأوامر والنواهي وحكمها، ويتذكَّرون به الأحكام القدرية والشرعية والجزائية، وبالجملة، يتذكَّرون به مصالح الدارين، وينالون بالعمل به السَّعادتين.

[٢٨] ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ بعدما تبين الرشد من الغي، والهدىٰ من الضلال.

[٢٩] ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: فمشيئته نافذةٌ، لا يمكن أن تعارض أو تمانع، وفي هذه الآية وأمثالها رد علىٰ فرقتي القدرية النفاة، والقدرية المجبرة كما تقدم مثالها.

والله أعلم، والحمد لله.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الانْفِطَارِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ۝٥﴾ [الانفطار]

[١-٥] أي: إذا انشقّت السماء، وانفطرت، وتناثرت نجومها، وزال جمالها، وفجرت البحار فصارت بحرًا واحدا، وبعثرت القبور بأن أخرج ما فيها من الأموات، وحشروا للموقف بين يدي الله للجزاء علىٰ الأعمال= فحينئذ ينكشف الغطاء، ويزول ما كان خفيا، وتعلم كل نفس ما معها من الأرباح والخسران، هنالك يعض الظالم علىٰ يديه إذا رأىٰ ما قدمت يداه وأيقن بالشقاء الأبدي والعذاب السرمدي.

وهنالك يفوز المتقون المقدّمون لصالح الأعمال بالفوز العظيم، والنعيم المقيم والسلامة من عذاب الجحيم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار]

[٦-٨] يقول تعالىٰ معاتبا للإنسان المقصر في حق ربه، المتجرئ علىٰ معاصيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ أتهاونًا منك في حقوقه؟ أم احتقارًا منك لعذابه؟ أم عدم إيمان منك بجزائه؟

أليس هو ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ﴾ في أحسن تقويم؟ ﴿فَعَدَلَكَ﴾ وركّبك تركيبا قويما معتدلا في أحسن الأشكال، وأجمل الهيئات، فهل يليق بك أن تكفر نعمة المنعم، أو تجحد إحسان المحسن؟

إن هذا إلا من جهلك وظلمك وعنادك وغشمك، فاحمد الله إذْ لم يجعل صورتك صورة كلب أو حمار، أو نحوهما من الحيوانات؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾.

[٩-١٢] وقوله: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾؛ أي: مع هذا الوعظ والتَّذكير، لا تزالون مستمرين علىٰ التكذيب بالجزاء.

وأنتم لابد أن تحاسبوا علىٰ ما عملتم، وقد أقام الله عليكم ملائكة كرامًا، يكتبون أقوالكم وأفعالكم ويعلمونها، فدخل في هذا أفعال القلوب، وأفعال الجوارح، فاللائق بكم أن تُكرموهم وتجلُّوهم وتحترموهم.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار]

[١٣-١٩] المراد بالأبرار؛ هم: القائمون بحقوق الله وحقوق عباده، الملازمون للبر، في أعمال القلوب وأعمال الجوارح، فهؤلاء جزاؤهم النَّعيم في القلب والروح والبدن، في دار الدنيا وفي دار البرزخ و في دار القرار.

﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ﴾ الذين قصَّروا في حقوق الله وحقوق عباده، الذين فجرت قلوبهم ففجرت أعمالهم، ﴿لَفِى جَحِيمٍ﴾؛ أي: عذاب أليم، في دار الدنيا ودار البرزخ وفي دار القرار.

﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ ويعذبون بها أشد العذاب ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾؛ أي: يوم الجزاء علىٰ الأعمال.

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾؛ أي: بل هم ملازمون لها، لا يخرجون منها.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ في هذا تهويل لذلك اليوم الشديد الذي يحير الأذهان.

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ﴾ ولو كانت قريبة أو حبيبة مصافية، فكل مشتغل بنفسه لا يطلب الفكاك لغيرها، ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ فهو الذي يفصل بين العباد، ويأخذ للمظلوم حقّه من ظالمه.

والله أعلم

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمُطَفِّفِين

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ (١)

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [المطفِّفين]

[١-٦] ﴿وَيۡلٞ﴾ كلمة عذاب ووعقاب، ﴿لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ وفسر الله المطففين بأنهم: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: أخذوا منهم وفاء لهم عما قبلهم يستوفونه كاملا من غير نقص.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ﴾؛ أي: إذا أعطوا الناس حقهم، الذي لهم عليهم بكيل أو وزن، ﴿يُخۡسِرُونَ﴾؛ أي: ينقصونهم ذلك، إما بمكيال وميزان ناقصين، أو بعدم ملء المكيال والميزان، أو نحو ذلك؛ فهذا سرقة لأموال الناس، وعدم إنصاف لهم منهم.

وإذا كان هذا وعيدا علىٰ الذين يبخسون الناس بالمكيال والميزان، فالذي يأخذ أموالهم قهرًا أو سرقة، أولىٰ بهذا الوعيد من المطفّفين.

ودلّت الآية الكريمة، علىٰ أن الإنسان كما يأخذ من الناس الذي له، يجب عليه أن يُعطيهم كل ما لهم من الأموال والمعاملات؛ بل يدخل في عموم هذا الحُجج والمقالات، فإنه كما أن المتناظرين قد جرت العادة أن كل واحد منهما يحرص علىٰ ما له من الحجج، فيجب عليه أيضًا أن يبيِّن ما لخصمه من الحجة التي لا يعلمها، وأن ينظر في أدلة خصمه كما ينظر في أدلته هو، وفي هذا الموضع يُعرف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه، وتواضعه من كبره، وعقله من سفهه، نسأل الله التَّوفيق لكل خير.

ثم توعد تعالىٰ المطفِّفين، وتعجَّب من حالهم وإقامتهم علىٰ ما هم عليه، فقال: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ

(١) في نسخة: مكِّية.

﴿أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فالذي جرّأهم علىٰ التطفيف عدم إيمانهم باليوم الآخر، وإلّا فلو آمنوا به، وعرفوا أنهم سيقومون بين يدي الله، فيحاسبهم علىٰ القليل والكثير؛ لأقلعوا عن ذلك وتابوا منه.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧﴾ [المطففين]

[٧-٩] يقول تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾ وهذا شامل لكل فاجر من أنواع الكفرة والمنافقين، والفاسقين ﴿لَفِى سِجِّينٍ﴾

ثم فسر ذلك بقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾؛ أي: كتاب مذكور فيه أعمالهم الخبيثة، والسِّجِّين: المحل الضيق الضنك، و ﴿سِجِّينٌ﴾ ضد ﴿عِلِّيِّينَ﴾ الذي هو محل كتاب الأبرار، كما سيأتي.

وقد قيل: إن ﴿سِجِّينٌ﴾ هو أسفل الأرض السابعة، مأوىٰ الفجار ومستقرّهم في معادهم.

[١٠-١٣] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ثم بيَّنهم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾؛ أي: يوم الجزاء، يوم يدينُ الله الناس فيه بأعمالهم.

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ علىٰ محارم الله، متعدٍّ من الحلال إلىٰ الحرام.

﴿أَثِيمٍ﴾؛ أي: كثير الإثم، فهذا الذي يحمله عدوانه علىٰ التكذيب، ويحمله عدوانه علىٰ التكذيب ويوجب له كبره رد الحق، ولهذا ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ الدّالة علىٰ الحق، وعلىٰ صدق ما جاءت به رسله، كذبها وعاندها، و﴿قَالَ﴾ هذه ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: من ترّهات المتقدمين، وأخبار الأمم الغابرين، ليس من عند الله تكبّرا وعنادا.

[١٤-١٧] وأمّا من أنصف، وكان مقصودُه الحق المبين؛ فإنه لا يكذب بيوم الدين، لأن الله قد أقام عليه من الأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، ما يجعله حقّ اليقين، وصار لبصائرهم بمنزلة الشمس للأبصار، بخلاف من ران علىٰ قلبه كسبُه، وغطته معاصيه، فإنّه محجوب عن الحق، ولهذا جُوزي علىٰ ذلك، بأن

حجب عن الله، كما حجب قلبه في الدنيا عن آيات الله، ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ﴾ مع هذه العقوبة البليغة ﴿لَصَالُواْ ٱلْجَحِيمِ﴾ ثم يقال لهم توبيخًا وتقريعًا: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ فذكر لهم ثلاثة أنواع من العذاب: عذاب الجحيم، وعذاب التوبيخ، واللَّوم.

وعذاب الحجاب من رب العالمين، المتضمِّن لسخطه وغضبه عليهم، وهو أعظم عليهم من عذاب النار، ودلَّ مفهوم الآية، علىٰ أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، وفي الجنة، ويتلذّذون بالنظر إليه أعظم من سائر اللذات، ويبتهجون بخطابه، ويفرحون بقُربه، كما ذكر الله ذلك في عدّة آيات من القرآن، وتواتر فيه النّقل عن رسول الله.

وفي هذه الآيات، التَّحذير من الذنوب، فإنها ترين علىٰ القلب وتغطِّيه شيئا فشيئا، حتىٰ ينطمس نوره، وتموت بصيرته، فتنقلب عليه الحقائق، فيرىٰ الباطلَ حقًا، والحق باطلا وهذا من أعظم عقوبات الذنوب.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطفِّفين]

[١٨-٢١] لمَّا ذكر أنَّ كتاب الفجّار في أسفل الأمكنة وأضيقها، ذكر أن كتاب الأبرار في أعلاها وأوسعها، وأفسحها وأنّ كتابهم المرقوم ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ من الملائكة الكرام، وأرواح الأنبياء، والصدِّيقين والشهداء، وينوِّه الله بذكرهم في الملأ الأعلىٰ، وَ﴿عِلِّيُّونَ﴾ اسم لأعلىٰ الجنة.

[٢٢-٢٨] فلمَّا ذكر كتابهم؛ ذكر أنهم في نعيم، وهو اسم جامع لنعيم القلب والروح والبدن، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾؛ أي: علىٰ السرر المزينة بالفرش الحسان.

﴿يَنظُرُونَ﴾ إلىٰ ما أعدَّ الله لهم من النعيم، وينظرون إلىٰ وجه ربهم الكريم، ﴿تَعْرِفُ﴾؛ أيها الناظر ﴿فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾؛ أي: بهاءه ونضارته ورونقه، فإن توالي اللذات والمسرات والأفراح يكسب الوجه نورًا وحسنًا وبهجة.

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ﴾ وهو من أطيب ما يكون من الأشربة وألذها، ﴿مَّخْتُومٍ﴾ ذلك الشراب ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ يحتمل أن المراد مختوم عن أن يداخله شيء ينقص لذته، أو يفسد طعمه، وذلك

الختام الذي ختم به: مسك.

ويحتمل أنَّ المراد أنه الذي يكون في آخر الإناء، الذي يشربون منه الرحيق حثالة، وهي المسك الأذفر، فهذا الكَدَر منه، الذي جرت العادة في الدنيا أنه يراق، يكون في الجنة بهذه المثابة، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ﴾ النّعيم المقيم، الذي لا يعلم حسنه ومقداره إلا الله، ﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾؛ أي: فليتسابقوا في المبادرة إليه والأعمال الموصلة إليه، فهذا أولىٰ ما بذلت فيه نفائس الأنفاس، وأحرىٰ ما تزاحمت للوصول إليه فحول الرِّجال.

ومزاج هذا الشراب من تسنيم، وهي عين ﴿يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ صرفًا، وهي أعلىٰ أشربة الجنة علىٰ الإطلاق، فلذلك كانت خالصة للمقرَّبين، الذين هم أعلىٰ الخلق منزلة، وممزوجة لأصحاب اليمين؛ أي: مخلوطة بالرحيق وغيره من الأشربة اللذيذة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطفِّفين]

[٢٩-٣٣] لمَّا ذكر تعالىٰ جزاء المُجرمين وجزاء المؤمنين وذكر ما بينهما من التفاوت العظيم، أخبر أنَّ المجرمين كانوا في الدنيا يسخرون بالمؤمنين، ويستهزئون بهم، و﴿يَضْحَكُونَ﴾ منهم، فَـ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾ بهم عند مرورهم عليهم، احتقارا لهم وازدراءً، ومع هذا تراهم مطمئنين، لا يخطر الخوف علىٰ بالهم، ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ﴾ صباحًا أو مساءً ﴿ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ﴾؛ أي: مسرورين مغتبطين، وهذا أشدّ ما يكون من الاغترار؛ أنهم جمعوا بين غاية الإساءة والأمن في الدنيا، حتىٰ كأنهم قد جاءهم كتابٌ من الله وعهد، أنهم من أهل السعادة، وقد حكموا لأنفسهم أنهم أهل الهدىٰ، وأن المؤمنين ضالُّون، افتراء علىٰ الله، وتجرؤوا علىٰ القول عليه بلا علم.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ﴾؛ أي: وما أرسلوا وكلاء علىٰ المؤمنين مُلزمين بحفظ أعمالهم، حتىٰ يحرصوا علىٰ رميهم بالضّلال، وما هذا منهم إلا تعنُّت وعناد وتلاعب، ليس له مستند ولا برهان.

[٣٤-٣٦] ولهذا كان جزاؤهم في الآخرة من جنس عملهم؛ قال تعالىٰ: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾؛ أي: يوم القيامة،

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ﴾ حين يرونهم في غمرات العذاب يتقلَّبون، وقد ذهب عنهم ما كانوا يفترون، والمؤمنون في غاية الراحة والطمأنينة.

﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ وهي السرر المزينة، ﴿يَنظُرُونَ﴾ إلىٰ ما أعدَّ الله لهم من النعيم، وينظرون إلىٰ وجه ربهم الكريم.

﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾؛ أي: هل جُوزوا من جنس عملهم؟

فكما ضحِكوا في الدنيا من المؤمنين ورموهم بالضَّلال، ضحك المؤمنون منهم في الآخرة حين رأوهم في العذاب والنكال؛ الذي هو عقوبة الغي والضلال.

نعم، ثُوِّبوا ما كانوا يفعلون، عدلا من الله وحكمة.

والله عليم حكيم.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الانْشِقَاقِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤
وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ
كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ
كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ۝١٣
إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ۝١٥﴾ [الانشقاق]

[١-٢] يقول تعالىٰ مبيِّنًا لما يكون في يوم القيامة من تغيُّر الأجرام العظام: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾؛ أي: انفطرت وتمايز بعضُها من بعض، وانتثرت نجومُها، وخسف شمسها وقمرها.

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا﴾؛ أي: استمعت لأمره، وألقت سمعها، وأصاخت لخطابه، أي: حُق لها ذلك؛ فإنها مسخرة مدبرة تحت مسخر ملك عظيم، لا يعصىٰ أمره، ولا يخالف حكمه.

[٣-٥] ﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ﴾؛ أي: رجفت وارتجت، ونسفت عليها جبالها، ودكّ ما عليها من بناء ومعلم، فسوّيت، ومدها الله تعالىٰ مد الأديم، حتىٰ صارت واسعة جدًّا، تسع أهل الموقف علىٰ كثرتهم، فتصير قاعًا صفصفًا لا ترىٰ فيها عوجًا ولا أمتًا.

﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا﴾ من الأموات والكنوز.

﴿وَتَخَلَّتۡ﴾ منهم، فإنّه يُنفخ في الصور، فتخرج الأموات من الأجداث إلىٰ وجه الأرض، وتخرج الأرض كنوزها، حتىٰ تكون كالإسطوان العظيم، يشاهده الخلق، ويتحسرون علىٰ ما هم فيه يتنافسون، ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾.

[٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾؛ أي: إنك ساعٍ إلىٰ الله، وعامل بأوامره ونواهيه، ومتقرِّبٌ إليه إما بالخير وإما بالشر، ثم تلاقي الله يوم القيامة، فلا تُعدم منه جزاء بالفضل أو

العدل إن كنت سعيدًا، وبالعقوبة إن كنت شقيًّا.

[٧-٩] ولهذا ذكر تفصيل الجزاء، فقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ وهم أهل السعادة.

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ وهو العَرْض اليسير علىٰ الله، فيقرره الله بذنوبه، حتىٰ إذا ظن العبد أنه قد هلك؛ قال الله تعالىٰ له: «إني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أسترها لك اليوم».

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ في الجنة ﴿مَسْرُورًا﴾ لأنه قد نجا من العذاب وفاز بالثواب.

[١٠-١٥] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾؛ أي: بشماله من وراء ظهره.

﴿فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا﴾ من الخزي والفضيحة، وما يجد في كتابه من الأعمال التي قدَّمها ولم يتب منها، ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾؛ أي: تحيط به السعير من كل جانب، ويقلَّب علىٰ عذابها، وذلك لأنه في الدنيا ﴿كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ لا يخطُر البعث علىٰ باله، وقد أساء، ولا يظن أنه راجع إلىٰ ربه وموقوف بين يديه.

﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ فلا يُحسن أن يتركه سدىٰ، لا يؤمر ولا يُنهىٰ، ولا يثاب ولا يعاقب.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ١٩ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ۩ ٢١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ٢٢ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٢٥﴾ [الانشقاق]

[١٦-١٩] أقسم في هذا الموضع بآيات الليل، فأقسم بالشَّفق الذي هو بقية نور الشمس، الذي هو مفتتح اللَّيل.

﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾؛ أي: احتوىٰ عليه من حيوانات وغيرها، ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾؛ أي: امتلأ نورًا بإبداره، وذلك أحسن ما يكون وأكثر منافع، والمُقسم عليه قوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾؛ أي: أيها الناس ﴿طَبَقًا﴾ بعد ﴿طَبَقٍ﴾؛ أي: أطوارا متعددة وأحوالًا متباينة، من النّطفة إلىٰ العلقة، إلىٰ المضغة، إلىٰ نفخ الروح، ثم يكون وليدًا وطفلا ومميزًا، ثم يجري عليه قلم التكليف، والأمر والنّهي، ثم يموت بعد ذلك، ثم يُبعث ويجازىٰ بأعماله؛ فهذه الطبقات المختلفة الجارية علىٰ العبد، دالة علىٰ أنَّ الله وحده هو المعبود، الموحد، المدبر لعباده بحكمته ورحمته، وأنَّ العبد فقير عاجز، تحت تدبير العزيز الرحيم.

[٢٠-٢٤] ومع هذا، فكثير من الناس لا يؤمنون، ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ۩﴾؛ أي: لا

يخضعون للقرآن، ولا ينقادون لأوامره ونواهيه، ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾؛ أي: يعاندون الحق بعدما تبين، فلا يستغرب عدم إيمانهم وانقيادهم للقرآن، فإنّ المكذب بالحق عنادًا لا حيلة فيه، ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾؛ أي: بما يعملونه وينوونه سرًّا؛ فالله يعلم سرهم وجهرهم، وسيجازيهم بأعمالهم، ولهذا قال: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وسُميت البشارة بشارة؛ لأنها تؤثر في البشرة سرورًا أو غمًّا.

[٢٥] فهذه حال أكثر الناس؛ التكذيب بالقرآن، وعدم الإيمان به.

ومن الناس فريقٌ هداهم الله، فآمنوا بالله، وقبلوا ما جاءتهم به الرسل، فـ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فهؤلاء ﴿لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ٢٥﴾ أي: غير مقطوع؛ بل هو أجرٌ دائم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر.

والحمد لله

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبُرُوجِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ
ٱلۡوَقُودِ ٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ
بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ١١ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢ إِنَّهُۥ هُوَ
يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ
ٱلۡجُنُودِ ١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ
مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۢ ٢٢﴾ [البروج]

[١-٣] ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾؛ أي: ذات المنازل المشتملة علىٰ منازل الشمس والقمر، والكواكب المنتظمة في سيرها، علىٰ أكمل ترتيب ونظام دالٍّ علىٰ كمال قدرة الله تعالىٰ، ورحمته، وسِعة علمه، وحكمته.

﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ﴾ وهو يوم القيامة، الذي وعد الله الخلق أن يجمعهم فيه، ويضم فيه أولهم وآخرهم، وقاصيهم ودانيهم، الذي لا يمكن أن يتغيّر، ولا يخلف الله الميعاد.

﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ وشمل هذا كلَّ من اتّصف بهذا الوصف؛ أي: مبصِر ومبصَر، وحاضر ومحضور، وراء ومرئي.

والمقسم عليه، ما تضمنه هذا القسم من آيات الله الباهرة، وحكمه الظاهرة، ورحمته الواسعة.

وقيل: إنَّ المقسم عليه قوله:

[٤-٩] ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ وهذا دعاء عليهم بالهلاك.

و ﴿ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ الحفر التي تحفر في الأرض.

وكان أصحاب الأخدود هؤلاء قومًا كافرين، ولديهم قوم مؤمنون، فراودوهم علىٰ الدخول في دينهم، فامتنع المؤمنون من ذلك، فشقَّ الكافرون أخدودًا في الأرض، وقذفوا فيها النار، وقعدوا حولها، وفتنوا المؤمنين، وعرضوهم عليها، فمن استجاب لهم أطلقوه، ومن استمر علىٰ الإيمان قذفوه في النار، وهذا غاية المحاربة لله ولحزبه المؤمنين، ولهذا لعنهم الله وأهلكهم وتوعَّدهم فقال: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ ثم فسّر الأخدود بقوله: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ﴾ وهذا من أعظم ما يكون من التجبّر وقساوة القلب، لأنهم جمعوا بين الكفر بآيات الله ومعاندتها، ومحاربة أهلها وتعذيبهم بهذا العذاب، الذي تنفطر منه القلوب، وحضُورهم إياهم عند إلقائهم فيها، والحالُ أنهم ما نقموا من المؤمنين إلا حالة يمدحون عليها، وبها سعادتهم، وهي أنهم كانوا يؤمنون ﴿بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨﴾ أي: الذي له العزة التي قهر بها كلَّ شيء، وهو حميدٌ في أقواله وأفعاله وأوصافه.

﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ خلقًا وعبيدًا، يتصرف فيهم بما يشاء، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ علمًا وسمعًا وبصرًا؛ أفلا خاف هؤلاء المتمردون عليه أن يأخذهم العزيز المقتدر، أو ما علموا كلهم أنّهم جميعهم مماليك لله، ليس لأحد علىٰ أحد سلطة، من دون إذن المالك؟ أو خفي عليهم أن الله محيطٌ بأعمالهم، مجازيهم عليها؟ كلّا إن الكافر في غرور، والجاهل في عمًىٰ وضلال عن سواء السبيل.

[١٠] ثم أوعدهم ووعدهم، وعرض عليهم التوبة، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾؛ أي: العذاب الشديد المحرق.

قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: انظروا إلىٰ هذا الكرم والجُود، هم قتلوا أولياءه وأهل طاعته، وهو يدعوهم إلىٰ التوبة.

[١١] ولما ذكر عقوبة الظالمين؛ ذكر ثواب المؤمنين؛ فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بقلوبهم ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بجوارحهم ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ الذي حصل لهم الفوز برضا الله ودار كرامته.

[١٢] ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾؛ أي: إن عقوبته لأهل الجرائم والذنوب العظام لقوية شديدة، وهو للظالمين بالمرصاد كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ

شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ [هود].

[١٣] ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾؛ أي: هو المنفرد بإبداء الخلق وإعادته، فلا يشاركه في ذلك مشارك.

[١٤] ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ الذي يغفر الذنوب جميعها لمن تاب، ويعفو عن السيئات لمن استغفره وأناب.

﴿ٱلْوَدُودُ﴾ الذي يحبّه أحبابه محبةً لا يشبهها شيء؛ فكما أنه لا يشابهه شيء في صفات الجلال والجمال، والمعاني والأفعال، فمحبَّته في قلوب خواص خلقه، التابعة لذلك، لا يشبهها شيءٌ من أنواع المحاب، ولهذا كانت محبّته أصل العبودية، وهي المحبة التي تتقدّم جميع المحاب وتغلبها، وإن لم تكن غيرها تبعًا لها، كانت عذابًا علىٰ أهلها، وهو تعالىٰ الودود، الواد لأحبابه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤]، والمودة هي المحبة الصافية، وفي هذا سرٌّ لطيف، حيث قرن ﴿ٱلْوَدُودُ﴾ بالغفور، ليدلّ ذلك علىٰ أن أهل الذنوب إذا تابوا إلىٰ الله وأنابوا، غفر لهم ذنوبهم وأحبهم، فلا يقال: بل تغفر ذنوبهم، ولا يرجع إليهم الود، كما قاله بعض الغالطين.

بل الله أفرح بتوبة عبده حين يتوب، من رجل له راحلة، عليها طعامه وشرابه وما يصلحه، فأضلها في أرض فلاة مهلكة، فأيس منها، فاضطجع في ظل شجرة ينتظر الموت، فبينما هو علىٰ تلك الحال، إذا راحلته علىٰ رأسه، فأخذ بخطامها، فالله أعظم فرحًا بتوبة العبد من هذا براحلته، وهذا أعظم فرح يقدر.

فلله الحمد والثناء، وصفو الوداد، ما أعظم بره، وأكثر خيره، وأغزر إحسانه، وأوسع امتنانه.

[١٥] ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾؛ أي: صاحب العرش العظيم، الذي من عظمته، أنه وسع السّمٰوات والأرض والكرسي؛ فهي بالنسبة إلىٰ العرش كحلقة ملقاة في فلاة، بالنسبة لسائر الأرض، وخصّ الله العرش بالذكر، لعظمته، ولأنه أخص المخلوقات بالقُرب منه تعالىٰ، وهذا علىٰ قراءة الجر، يكون ﴿ٱلْمَجِيدِ﴾ نعتا للعرش، وأما علىٰ قراءة الرفع، فإن المجيد نعتًا لله، والمجد سعة الأوصاف وعظمتها.

[١٦] ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾؛ أي: مهما أراد شيئًا فعله، إذا أراد شيئًا؛ قال له: كن فيكون، وليس أحد فعالا لما يريد إلا الله.

فإن المخلوقات، ولو أرادت شيئًا؛ فإنه لا بد لإرادتها من معاون وممانع، والله لا معاون لإرادته، ولا ممانع له مما أراد.

[١٧-١٨] ثم ذكر من أفعاله الدالة علىٰ صدق ما جاءت به رسله، فقال: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ وكيف كذَّبوا المرسلين، فجعلهم الله من المهلكين.

[١٩] ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٍ﴾؛ أي: لا يزالون مستمرِّين علىٰ التكذيب والعناد، لا تنفع فيهم الآيات، ولا تجدي لديهم العظات.

[٢٠] ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾؛ أي: قد أحاط بهم علمًا وقدرةً، كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤﴾ [الفجر] ففيه الوعيد الشّديد للكافرين، من عقوبة من هم في قبضته، وتحت تدبيره.

[٢١-٢٢] ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ﴾؛ أي: وسيع المعاني عظيمها، كثير الخير والعلم.

﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ من التغيير والزيادة والنَّقص، ومحفوظ من الشياطين، وهو: اللَّوح المحفوظ الذي قد أثبت الله فيه كل شيء.

وهذا يدلُّ علىٰ جلالة القرآن وجزالته، ورفعة قدره عند الله تعالىٰ، والله أعلم.

تم تفسيرها

تَفْسِيرُ سُورَةِ الطَّارِقِ
وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ٤ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ١٠ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ١٧﴾ [الطارق]

[١-٤] يقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ ثم فسر الطارق بقوله: ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾؛ أي: المضيء، الذي يثقب نوره، فيخرق السَّمٰوات فينفذ حتىٰ يرىٰ في الأرض، والصحيح أنه اسم جنس يشمل سائر النجوم الثواقب.

وقد قيل: إنه «زحل» الذي يخرق السَّمٰوات السبع وينفذها فيُرىٰ منها. وسمي طارقًا، لأنه يطرق ليلا.

والمقسم عليه قوله: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾ يحفظ عليها أعمالها الصالحة والسيئة، وستُجازىٰ بعملها المحفوظ عليها.

[٥-٧] ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾؛ أي: فليتدبّر خلقته ومبدأه، فإنه مخلوق ﴿مِن مَّآءٖ دَافِقٖ﴾ وهو: المنيُّ الذي ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ يُحتمل أنه من بين صلب الرجل وترائب المرأة، وهي ثدياها.

ويحتمل أنّ المراد المنيّ الدافق، وهو مني الرجل، وأن محله الذي يخرج منه ما بين صُلبه وترائبه، ولعل هذا أولىٰ، فإنّه إنما وصف به الماء الدافق الذي يحس به ويشاهد دفقه، هو مني الرجل، وكذلك لفظ الترائب فإنها تُستعمل للرجل، فإنَّ الترائب للرجل، بمنزلة الثديين للأنثىٰ، فلو أريدت الأنثىٰ لقيل: (من بين الصلب والثديين) ونحو ذلك، والله أعلم.

[٨-١٠] فالذي أوجد الإنسان من ماء دافق، يخرج من هذا الموضع الصعب، قادر علىٰ رجعه في الآخرة، وإعادته للبعث، والنشور والجزاء، وقد قيل: إنَّ معناه، أن الله علىٰ رجع الماء المدفوق في الصلب لقادر، وهذا - وإن كان المعنىٰ صحيحًا - فليس هو المراد من الآية، ولهذا قال بعده: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾؛ أي: تختبر سرائر الصدور، ويظهر ما كان في القلوب من خير وشر علىٰ صفحات الوجوه كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦] ففي الدنيا تنكتم كثير من الأمور، ولا تظهر عيانًا للناس، وأما يوم القيامة فيظهر بر الأبرار، وفجور الفجار، وتصير الأمور علانية.

وقوله: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ﴾ أي: من نفسه يدفع بها ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ من خارجٍ ينتصر به، فهذا القسم علىٰ العاملين وقت عملهم وعند جزائهم.

[١١-١٤] ثم أقسم قسمًا ثانيًا علىٰ صحة القرآن، فقال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾؛ أي: ترجع السماء بالمطر كل عام، وتنصدع الأرض للنبات، فيعيش بذلك الآدميون والبهائم، وترجع السماء أيضًا بالأقدار والشؤون الإلهية كل وقت، وتنصدع الأرض عن الأموات، ﴿إِنَّهُۥ﴾؛ أي: القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾؛ أي: حقٌّ وصدق بين واضح.

﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾؛ أي: جدٌّ ليس بالهزل، وهو القول الذي يفصل بين الطوائف والمقالات، وتنفصل به الخصومات.

[١٥-١٧] ﴿إِنَّهُمْ﴾؛ أي: المكذِّبين للرسول ﷺ، وللقرآن ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ ليدفعوا بكيدهم الحق، ويؤيدوا الباطل.

﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ لإظهار الحق، ولو كره الكافرون، ولدفع ما جاؤوا به من الباطل، ويعلم بهذا من الغالب، فإنَّ الآدمي أضعف وأحقر من أن يغالب القوي العليم في كيده.

﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾؛ أي: قليلا فسيعلمون عاقبة أمرهم، حين ينزل بهم العقاب.

تم تفسيرها، والحمد لله رب العالمين.

تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿سَبِّح﴾

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣ وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ٥ سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ٨ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ١١ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ١٣ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾ [الأعلى]

[١-٣] يأمر تعالىٰ بتسبيحه المتضمِّن لذكره وعبادته، والخضوع لجلاله، والاستكانة لعظمته، وأن يكون تسبيحًا، يليق بعظمة الله تعالىٰ؛ بأن تُذكر أسماؤه الحسنىٰ العالية علىٰ كلِّ اسم بمعناها العظيم الجليل، وتذكر أفعاله التي منها أنه خلق المخلوقات فسوّاها؛ أي: أتقن وأحسن خلقها، ﴿وَٱلَّذِي قَدَّرَ﴾ تقديرًا، تتبعه جميع المقدرات ﴿فَهَدَىٰ﴾ إلىٰ ذلك جميع المخلوقات.

وهذه الهداية العامة، التي مضمونها أنه هدىٰ كل مخلوق لمصلحته.

[٤-٥] وتذكر فيها نعمه الدنيوية، ولهذا قال: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ﴾؛ أي: أنزل من السماء ماء، أنبت به أصناف النبات والعشب الكثير، فرتع فيه الناس والبهائم وجميع الحيوانات، ثم بعد أن استكمل ما قدر له من الشباب؛ ألوىٰ نباته، وصوح عشبه، ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴾؛ أي: أسود؛ أي: جعله هشيمًا رميمًا.

[٦-٧] ويذكر فيها نعمه الدينية، ولهذا امتن الله بأصلها ومادتها؛ وهو القرآن، فقال: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾؛ أي: سنحفظ ما أوحينا إليك من الكتاب، ونُوعِيه قلبك، فلا تنسىٰ منه شيئًا، وهذه بشارة من الله

كبيرة لعبده ورسوله محمد ﷺ؛ أنّ الله سيعلِّمه علمًا لا ينساه.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ مما اقتضت حكمته أن ينسيكه لمصلحة وحكمة بالغة، ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ﴾ ومن ذلك أنه يعلم ما يصلح عباده؛ أي: فلذلك يشرع ما أراد، ويحكم بما يريد.

[٨] ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ وهذه أيضًا بشارة أخرىٰ، أن الله ييسر رسوله ﷺ لليسرىٰ في جميع أموره، ويجعل شرعه ودينه يسيرا.

[٩-١٣] ﴿فَذَكِّرۡ﴾ بشرع الله وآياته ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾؛ أي: ما دامت الذكرىٰ مقبولة، والموعظة مسموعة، سواء حصل من الذكرىٰ جميع المقصود أو بعضه.

ومفهوم الآية أنه إن لم تنفع الذكرىٰ، بأن كان التذكير يزيد في الشر، أو ينقص من الخير، لم تكن مأمورًا بها؛ بل منهيًا عنها، فالذكرىٰ ينقسم الناس فيها قسمين: منتفعون وغير منتفعين.

فأما المنتفعون، فقد ذكرهم بقوله: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ﴾ اللهَ، فإن خشية الله تعالىٰ، والعلم بمجازاته علىٰ الأعمال توجب للعبد الانكفاف عما يكرهه الله والسعي في الخيرات.

وأما غير المنتفعين؛ فذكرهم بقوله: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ۝١١ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ وهي النار الموقدة التي تطلع علىٰ الأفئدة.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾؛ أي: يعذب عذابًا أليمًا، من غير راحة ولا استراحة، حتىٰ إنهم يتمنون الموت فلا يحصل لهم، كما قال تعالىٰ: **﴿لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ﴾** [فاطر:٣٦].

[١٤-١٥] ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾؛ أي: قد فاز وربح من طهر نفسه ونقاها من الشرك والظلم ومساوئ الأخلاق، ﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾؛ أي: اتَّصف بذكر الله، وانصبغ به قلبه، فأوجب له ذلك العمل بما يُرضي الله، خصوصًا الصلاة، التي هي ميزان الإيمان، فهذا معنىٰ الآية الكريمة.

وأما من فسر قوله: ﴿تَزَكَّىٰ﴾ يعني: أخرج زكاة الفطر، ﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾، أنه صلاة العيد، فإنه وإن كان داخلا في اللفظ وبعض جزئياته، فليس هو المعنىٰ وحده.

[١٦-١٧] ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾؛ أي: تقدمونها علىٰ الآخرة، وتختارون نعيمها المنغص المكدر الزائل علىٰ الآخرة.

﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ وللآخرة خير من الدنيا في كل وصف مطلوب، وأبقىٰ لكونها دار خلد وبقاء

وصفاء، والدنيا دار فناء، فالمؤمن العاقل لا يختار الأردأ علىٰ الأجود، ولا يبيع لذة ساعة، بترحة الأبد، فحبّ الدنيا وإيثارها علىٰ الآخرة رأس كل خطيئة.

[١٨-١٩] ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المذكور لكم في هذه السورة المباركة، من الأوامر الحسنة، والأخبار المستحسنة ﴿لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ اللذين هما أشرف المرسلين، بعد محمد صلىٰ الله عليه وعليهم أجمعين.

فهذه أوامر في كل شريعة، لكونها عائدة إلىٰ مصالح الدارين، وهي مصالح في كل زمان ومكان.

تمت، ولله الحمد

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْغَاشِيَةِ
وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ۝٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ۝٥ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ۝٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ۝٧ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ۝٨ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ۝١٠ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ۝١١ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ۝١٣ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ۝١٦﴾ [الغاشية]

[١] يذكر تعالىٰ أحوال يوم القيامة وما فيها من الأهوال الطامة، وأنها تغشىٰ الخلائق بشدائدها، فيجازون بأعمالهم، ويتميزون إلىٰ فريقين: فريقٌ في الجنة، وفريقٌ في السعير.

فأخبر عن وصف كلا الفريقين:

[٢-٧] فقال في وصف أهل النار: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ﴾؛ أي: يوم القيامة ﴿خَٰشِعَةٌ﴾ من الذُّل، والفضيحة والخزي.

﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ﴾؛ أي: تاعبة في العذاب، تجر علىٰ وجوهها، ﴿وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠﴾ [إبراهيم].

ويحتمل أن المراد بقوله: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ﴾ في الدنيا لكونهم في الدنيا أهل عبادات وعمل؛ ولكنه لما عدم شرطه وهو الإيمان؛ صار يوم القيامة هباء منثورا، وهذا الاحتمال وإن كان صحيحًا من حيث المعنىٰ؛ فلا يدل عليه سياق الكلام؛ بل الصواب المقطوع به هو الاحتمال الأول؛ لأنه قيده بالظرف، وهو يوم القيامة، ولأن المقصود هنا بيان ذكر أهل النار عمومًا، وذلك الاحتمال جزء قليل بالنسبة إلىٰ أهل النار؛ ولأن الكلام في بيان حال الناس عند غشيان الغاشية، فليس فيه تعرُّض لأحوالهم في الدنيا.

وقوله: ﴿تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ﴾؛ أي: شديدًا حرها، تحيط بهم من كل مكان، ﴿تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ﴾؛ أي: شديدة الحرارة ﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ﴾ [الكهف:٢٩] فهذا شرابهم.

وأما طعامهم فـ ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ وذلك لأن المقصود من الطعام أحد أمرين:

إما أن يسد جوع صاحبه ويزيل عنه ألمه.

وإما أن يسمن بدنه من الهزال.

وهذا الطعام ليس فيه شيء من هذين الأمرين؛ بل هو طعام في غاية المرارة والنتن والخسة نسأل الله العافية.

[٨-١٦] وأما أهل الخير، فوجوههم يوم القيامة ﴿نَّاعِمَةٌ﴾؛ أي: قد جرت عليهم نضرة النعيم، فنضرت أبدانهم، واستنارت وجوههم، وسرّوا غاية السرور.

﴿لِّسَعْيِهَا﴾ الذي قدمته في الدنيا من الأعمال الصالحة، والإحسان إلىٰ عباد الله، ﴿رَاضِيَةٌ﴾ إذ وجدت ثوابه مدخرًا مضاعفًا، فحمدت عقباه، وحصل لها كل ما تتمناه، وذلك أنها ﴿فِي جَنَّةٍ﴾ جامعة لأنواع النعيم كلها، ﴿عَالِيَةٍ﴾ في محلّها ومنازلها، فمحلها في أعلىٰ علّيّين، ومنازلها مساكن عالية، لها غرف ومن فوق الغرف غرف مبنية يشرفون منها علىٰ ما أعد الله لهم من الكرامة.

﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣﴾ [الحاقة] أي: كثيرة الفواكه اللذيذة، المُثمرة بالثمار الحسنة، السهلة التناول، بحيث ينالونها علىٰ أي: حالٍ كانوا، لا يحتاجون أن يصعدوا شجرة، أو يستعصي عليهم منها ثمرة.

﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا﴾؛ أي: الجنة ﴿لَٰغِيَةً﴾؛ أي: كلمة لغو وباطل، فضلا عن الكلام المحرم؛ بل كلامهم كلام حسن نافع مشتمل علىٰ ذكر الله تعالىٰ، وذكر نعمه المتواترة عليهم، وعلىٰ الآداب الحسنة بين المتعاشرين، الذي يسر القلوب، ويشرح الصدور.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ وهذا اسم جنس أي: فيها العيون الجارية التي يفجرونها ويصرفونها كيف شاؤوا، وأنىٰ أرادوا.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ و«السرر» جمع «سرير» وهي المجالس المرتفعة في ذاتها، وبما عليها من الفرش اللينة الوطيئة.

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾؛ أي: أوان ممتلئة من أنواع الأشربة اللذيذة، قد وُضعت بين أيديهم، وأعدت لهم، وصارت تحت طلبهم واختيارهم، يطوف بها عليهم الولدان المخلدون.

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾؛ أي: وسائد من الحرير والاستبرق وغيرهما مما لا يعلمه إلا الله، قد صفّت للجلوس والاتكاء عليها، وقد أُريحوا عن أن يضعوها، ويصفّوها بأنفسهم.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ والزرابي هي: البسط الحسان، مبثوثة؛ أي: مملوءة بها مجالسهم من كل جانب.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية]

[١٧-٢٠] يقول تعالىٰ حثًّا للّذين لا يصدقون الرسول ﷺ، ولغيرهم من الناس أن يتفكروا في مخلوقات الله الدالة علىٰ توحيده: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾؛ أي: ألا ينظرون إلىٰ خلقها البديع، وكيف سخّرها الله للعباد، وذللها لمنافعهم الكثيرة التي يضطرون إليها.

﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ بهيئة باهرة، حصل بها الاستقرار للأرض وثباتها عن الاضطراب، وأودع الله فيها من المنافع الجليلة ما أودع.

﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾؛ أي: مُدّت مدًّا واسعًا، وسهلت غاية التسهيل، ليستقر العباد علىٰ ظهرها، ويتمكّنوا من حرثها وغراسها، والبنيان فيها، وسلوك طرقها الموصلة إلىٰ أنواع المقاصد فيها.

واعلم أن تسطيحها لا ينافي أنها كرة مستديرة، قد أحاطت الأفلاك فيها من جميع جوانبها، كما دل علىٰ ذلك النقل والعقل والحس والمشاهدة؛ كما هو مذكور معروف عند أكثر الناس، خصوصًا في هذه الأزمنة، التي وقف الناس علىٰ أكثر أرجائها بما أعطاهم الله من الأسباب المقرِّبة للبعيد، فإن التسطيح إنما ينافي كروية الجسم الصغير جدًّا، الذي لو سطح لم يبق له استدارة تذكر. وأما جسم الأرض الذي هو كبير جدا واسع، فيكون كرويًّا مسطحًا، ولا يتنافىٰ الأمران، كما يعرف ذلك أرباب الخبرة.

[٢١-٢٢] ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾؛ أي: ذكر الناس وعظهم، وأنذرهم وبشرهم، فإنك مبعوث لدعوة الخلق إلىٰ الله وتذكيرهم، ولم تبعث عليهم مسيطرًا عليهم، مسلطًا موكلا بأعمالهم، فإذا قمت بما عليك، فلا عليك بعد ذلك لوم؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق].

[٢٣-٢٤] وقوله: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾؛ أي: لكن من تولىٰ عن الطاعة وكفر بالله ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾؛ أي: الشديد الدائم.

[٢٥-٢٦] ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾؛ أي: رجوع الخلائق وجمعهم في يوم القيامة.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ علىٰ ما عملوا من خير وشر.

والحمد لله رب العالمين

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفَجْرِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلۡفَجۡرِ ١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ٤ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ٥﴾ [الفجر]

[١-٥] الظاهر أن المقسم عليه هو المقسم به، وذلك جائز مستعمل، إذا كان أمرًا ظاهرًا مهمًا، وهو كذلك في هذا الموضع.

فأقسم تعالىٰ بالفجر، الذي هو آخر الليل ومقدِّمة النهار، لما في إدبار الليل وإقبال النهار، من الآيات الدَّالة علىٰ كمال قدرة الله تعالىٰ، وأنّه هو المدبر لجميع الأمور، الذي لا تنبغي العبادة إلّا له، ويقع في الفجر صلاة فاضلة معظمة، يحسن أن يقسم الله بها، ولهذا أقسم بعده بالليالي العشر، وهي علىٰ الصحيح: ليالي عشر رمضان، أو عشر ذي الحجة، فإنّها ليال مشتملة علىٰ أيام فاضلة، ويقع فيها من العبادات والقربات ما لا يقع بغيرها.

وفي ليالي عشر رمضان ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، وفي نهارها، صيام آخر رمضان الذي هو ركن من أركان الإسلام.

وفي أيام عشر ذي الحجة، الوقوف بعرفة، الذي يغفر الله فيه لعباده مغفرةً يحزن لها الشيطان، فإنه ما رئي الشيطان أحقر ولا أدحر منه في يوم عرفة، لما يرىٰ من تنزّل الأملاك والرحمة من الله علىٰ عباده، ويقع فيها كثير من أفعال الحج والعمرة، وهذه أشياء معظمة، مستحقة أن يقسم الله بها.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾؛ أي: وقت سريانه وإرخائه ظلامَه علىٰ العباد، فيسكنون ويستريحون ويطمئنون، رحمة منه تعالىٰ وحكمة.

﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ﴾؛ أي: لذي عقل؟ نعم، بعض ذلك يكفي، لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد.

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ۝٩ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ۝١٤﴾ [الفجر]

[٦-١٤] يقول تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ بقلبك وبصيرتك كيف فعل بهذه الأمم الطاغية، عاد وهي: ﴿إِرَمَ﴾ القبيلة المعروفة في اليمن ﴿ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ﴾؛ أي: القوة الشديدة، والعتو والتجبّر.

﴿ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾؛ أي: في جميع البلدان في القوة والشدة؛ كما قال لهم نبيهم هود ﷺ: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٦٩﴾ [الأعراف].

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ﴾؛ أي: وادي القرىٰ، نحتوا بقوتهم الصخور، فاتخذوها مساكن، ﴿وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ﴾؛ أي: ذي الجنود الذين ثبتوا ملكه، كما تثبت الأوتاد وما يراد إمساكه بها، ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ هذا الوصف عائد إلىٰ عاد وثمود وفرعون ومن تبعهم، فإنهم طغوا في بلاد الله، وآذوا عباد الله، في دينهم ودنياهم، ولهذا قال: ﴿فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ﴾ وهو العمل بالكُفر وشُعبه، من جميع أجناس المعاصي، وسعوا في محاربة الرُّسل وصدِّ الناس عن سبيل الله، فلما بلغوا من العتوّ ما هو موجب لهلاكهم، أرسل الله عليهم من عذابه ذنوبًا وسوط عذاب، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ لمن يعصيه يمهله قليلا ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر.

﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝١٨ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ۝٢٠﴾ [الفجر]

[١٥-٢٠] يخبر تعالىٰ عن طبيعة الإنسان من حيث هو، وأنه جاهل ظالم، لا علم له بالعواقب، يظن الحالة التي تقع فيه تستمر ولا تزول، ويظن أنَّ إكرام الله في الدنيا وإنعامه عليه يدل علىٰ كرامته عنده وقربه منه، وأنه إذا ﴿قَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾؛ أي: ضيَّقه، فصار يقدر قوته لا يفضل عنه، أن هذا إهانة من الله له، فرد الله عليه هذا الحسبان: فقال: ﴿كَلَّا﴾؛ أي: ليس كل من نعّمته في الدنيا فهو كريم علي، ولا كل من قدّرت عليه رزقه فهو مهان لدي، وإنما الغنىٰ والفقر، والسعة والضيق= ابتلاء من الله، وامتحان يمتحن به العباد؛ ليرىٰ من يقوم له بالشكر والصبر، فيثيبه علىٰ ذلك الثواب الجزيل، ممَّن ليس كذلك

فينقله إلىٰ العذاب الوبيل.

وأيضًا، فإنَّ وقوف همّة العبد عند مراد نفسه فقط، من ضعف الهمة، ولهذا لامَهُم الله علىٰ عدم اهتمامهم بأحوال الخلق المحتاجين، فقال: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ﴾ الذي فقد أباه وكاسبه، واحتاج إلىٰ جبر خاطره والإحسان إليه.

فأنتم لا تكرمونه؛ بل تهينونه، وهذا يدل علىٰ عدم الرحمة في قلوبكم، وعدم الرغبة في الخير.

﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾؛ أي: لا يحض بعضكم بعضًا علىٰ إطعام المحاويج من الفقراء والمساكين، وذلك لأجل الشُّح علىٰ الدنيا ومحبتها الشديدة المتمكِّنة من القلوب، ولهذا قال: ﴿وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾؛ أي: المال المخلّف ﴿أَكۡلٗا لَّمّٗا﴾؛ أي: ذريعًا، لا تبقون علىٰ شيء منه.

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا﴾؛ أي: شديدًا، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾ [الأعلىٰ]، ﴿كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ٢١﴾ [القيامة].

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٦ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾ [الفجر]

[٢١-٢٤] ﴿كَلَّآ﴾؛ أي: ليس كل ما أحببتم من الأموال، وتنافستم فيه من اللَّذات، بباق لكم؛ بل أمامكم يوم عظيم، وهول جسيم، تُدكُّ فيه الأرض والجبال وما عليها حتىٰ تجعل قاعًا صفصفًا لا عوج فيه ولا أمتًا.

ويجيء الله لفصل القضاء بين عباده في ظلل من الغمام، ويجيء الملائكة الكرام، أهل السَّمٰوات كلهم، ﴿صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾ أي: صفًّا بعد صف، كل سماءٍ يجيء ملائكتها صفا، يحيطون بمن دونهم من الخلق، وهذه الصفوف صفوف خضوعٍ وذل للملك الجبار.

﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾ تقودُها الملائكة بالسلاسل.

فإذا وقعت هذه الأمور فـ ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ ما قدَّمه من خير وشر.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ فقد فات أوانها، وذهب زمانها.

﴿يَقُولُ﴾ متحسِّرًا علىٰ ما فرط في جنب الله: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ الباقية الدائمة، عملا صالحًا؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨﴾ [الفرقان].

وفي هذا دليل علىٰ أن الحياة التي ينبغي السعي في كمالها وتحصيلها وكمالها [1]، وفي تتميم لذاتها، هي الحياة في دار القرار، فإنها دار الخلد والبقاء.

[٢٥-٢٦] ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ﴾ لمن أهمل ذلك اليوم ونسي العمل له.

﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ﴾ فإنهم يُقرنون بسلاسل من نار، ويسحبون علىٰ وجوههم في الحميم، ثم في النار يسجرون، فهذا جزاء المجرمين.

[٢٧-٣٠] وأمَّا من آمن بالله واطمأن به وصدّق رسله، فيقال له: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾ إلىٰ ذكر الله، الساكنة إلىٰ حبه، التي قرت عينها بالله ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ الذي رباك بنعمته، وأسدىٰ عليك من إحسانه ما صرت به من أوليائه وأحبابه ﴿رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ﴾؛ أي: راضية عن الله، وعما أكرمها به من الثواب، والله قد رضي عنها ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ وهذا تخاطَب به الروح يوم القيامة، وتخاطب وقت السياق والموت.

والحمد لله ربِّ العالمين.

(١) في نسخة: التي ينبغي السعي في أصلها وكمالها.

تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ٧ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠﴾[البلد]

[١-٣] يقسم تعالىٰ ﴿بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ الأمين، وهو مكة المكرمة، أفضل البلدان علىٰ الإطلاق، خصوصًا وقت حلول الرسول ﷺ فيها، ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾؛ أي: آدم وذرّيته.

[٤-٧] والمقسم عليه قوله: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ يحتمل أن المراد بذلك ما يكابده ويقاسيه من الشدائد في الدنيا، وفي البرزخ، ويوم يقوم الأشهاد، وأنّه ينبغي له أن يسعىٰ في عمل يريحه من هذه الشّدائد، ويوجب له الفرح والسرور الدائم.

وإن لم يفعل، فإنه لا يزال يكابد العذاب الشَّديد أبد الآباد.

ويحتمل أن المعنىٰ: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، وأقوم خِلقة، يقدر علىٰ التصرف والأعمال الشديدة، ومع ذلك، فإنه لم يشكر الله علىٰ هذه النِّعمة العظيمة؛ بل بطر بالعافية وتجبر علىٰ خالقه، فحسب بجهله وظلمه أن هذه الحال ستدوم له، وأن سلطان تصرفه لا ينعزل، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ﴾ ويطغىٰ ويفتخر بما أنفق من الأموال علىٰ شهوات نفسه؛ فـ ﴿يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا﴾؛ أي: كثيرًا، بعضُه فوق بعض.

وسمَّىٰ الله تعالىٰ الإنفاق في الشهوات والمعاصي إهلاكًا، لأنه لا ينتفع المنفق بما أنفق، ولا يعود

عليه من إنفاقه إلا الندم والخسار والتعب والقلَّة، لا كمن أنفق في مرضاة الله في سبيل الخير؛ فإن هذا قد تاجر مع الله، وربح أضعاف أضعاف ما أنفق.

قال الله متوعِّدًا هذا الذي افتخر بما أنفق في الشهوات: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾؛ أي: أيظن في فعله هذا، أن الله لا يراه ويحاسبه على الصَّغير والكبير؟

بل قد رآه الله، وحفظ عليه أعماله، ووكّل به الكرام الكاتبين، لكل ما عمله من خير وشر.

[٨-١٠] ثم قرّره بنعمه، فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ للجمال والبصر والنُّطق، وغير ذلك من المنافع الضرورية فيها، فهذه نعمُ الدنيا، ثم قال في نعم الدِّين: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾؛ أي: طريقي الخير والشر، بينّا له الهدىٰ من الضلال، والرشد من الغي.

فهذه المنن الجزيلة، تقتضي من العبد أن يقوم بحقوق الله، ويشكره علىٰ نعمه، وألَّا يستعين بها علىٰ معاصيه.

[١١] ولكن هذا الإنسان لم يفعل ذلك ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾؛ أي: لم يقتحمها ويعبر عليها، لأنه متبع لشهواته، وهذه العقبة شديدة عليه.

[١٢-١٦] ثم فسر هذه العقبة بقوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾؛ أي: فكها من الرق بعتقها أو مساعدتها علىٰ أداء كتابتها، ومن باب أولىٰ فكاك الأسير المسلم عند الكفار.

﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾؛ أي: مجاعة شديدة؛ بأن يطعم وقت الحاجة أشد الناس حاجة.

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾؛ أي: جامعًا بين كونه يتيمًا، وفقيرًا ذا قرابة.

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾؛ أي: قد لزَق بالتراب من الحاجة والضرورة.

[١٧] ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وعملوا الصالحات؛ أي: آمنوا بقلوبهم بما يجب الإيمان به، وعملوا الصالحات بجوارحهم، فدخل في هذا كل قول وفعل واجب أو مستحب ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ علىٰ طاعة الله وعن معصيته، وعلىٰ أقداره المؤلمة بأن يحثّ بعضهم بعضًا علىٰ الانقياد لذلك، والإتيان به كاملا منشرحًا به الصدر، مطمئنة به النفس.

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ للخلق، من إعطاء محتاجهم، وتعليم جاهلهم، والقيام بما يحتاجون إليه من جميع الوجوه، ومساعدتهم علىٰ المصالح الدينية والدنيوية، وأن يحبّ لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه.

[١٨] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين قاموا بهذه الأوصاف، الذين وفّقهم الله لاقتحام هذه العقبة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ لأنهم أدُّوا ما أمر الله به من حقوقه وحقوق عباده، وتركوا ما نهوا عنه، وهذا عنوان السعادة وعلامتها.

[١٩-٢٠] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بأن نبذوا هذه الأمور وراء ظهورهم، فلم يصدِّقوا بالله، ولا آمنوا به، ولا عملوا صالحًا، ولا رحموا عباد الله، أولئك ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾؛ أي: مغلقة، في عمد ممددة، قد مُدّت من ورائها، لئلا تنفتح أبوابها، حتىٰ يكونوا في ضيق وهمٍّ وشدة.

والحمد لله.

تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ١٤ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ١٥﴾[الشمس]

[١-٦] أقسم تعالىٰ بهذه الآيات العظيمة، علىٰ النفس المفلحة، وغيرها من النفوس الفاجرة، فقال:

﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾؛ أي: نورها، ونفعها الصادر منها.

﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾؛ أي: تبعها في المنازل والنور.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾؛ أي: جلَّى ما علىٰ وجه الأرض وأوضحه.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾؛ أي: يغشىٰ وجه الأرض، فيكون ما عليها مظلمًا.

فتعاقب الظلمة والضياء، والشمس والقمر، علىٰ هذا العالم، بانتظام وإتقانٍ، وقيام لمصالح العباد، أكبر دليل علىٰ أن الله بكل شيءٍ عليم، وعلىٰ كل شيء قدير، وأنه المعبود وحده، الذي كل معبودٍ سواه فباطل.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ يحتمل أنَّ «ما» موصولة، فيكون الإقسام بالسماء وبانيها، وهو الله تبارك وتعالىٰ، ويحتمل أنها مصدرية، فيكون الإقسام بالسماء وبنيانها، الذي هو غاية ما يقدر من الإحكام والإتقان والإحسان، ونحو هذا قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾؛ أي: مدّها ووسعها، فتمكن الخلق حينئذ من الانتفاع بها، بجميع أوجه الانتفاع.

[٧-٨] ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ يحتمل أن المراد ونفس سائر المخلوقات الحيوانية، كما يؤيد هذا

العموم، ويحتمل أن الإقسام بنفس الإنسان المكلف، بدليل ما يأتي بعده.

وعلىٰ كلٍّ، فالنفس آية كبيرة من آياته التي يحقّ بالإقسام بها فإنها في غاية اللطف والخفة، سريعة التنقُّل والحركة والتغير والتأثر والانفعالات النَّفسية، من الهم، والإرادة، والقصد، والحب، والبغض، وهي التي لولاها لكان البدن مجرد تمثال لا فائدة فيه، وتسويتها علىٰ هذا الوجه آية من آيات الله العظيمة.

[٩-١٠] وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾؛ أي: طهَّر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وعلَّاها بالعلم النافع والعمل الصالح.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾؛ أي: أخفىٰ نفسه الكريمة، التي ليست حقيقة بقمعها وإخفائها، بالتدنس بالرذائل، والدنو من العيوب، والذنوب، وترك ما يكمّلها وينمّيها، واستعمال ما يشينها ويدسيها.

[١١-١٥] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾؛ أي: بسبب طُغيانها وترفعها عن الحق، وعتوّها علىٰ رسلوهم.

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾؛ أي: أشقىٰ القبيلة، وهو «قُدار بن سالف» لعقرها حين اتفقوا علىٰ ذلك، وأمروه فاتمر لهم.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ صالحٌ ﷺ محذرًا: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾؛ أي: احذروا عقر ناقة الله، التي جعلها لكم آية عظيمة، ولا تقابلوا نعمة الله عليكم بسقي لبنها أن تعقروها، فكذَّبوا نبيهم صالحًا.

﴿فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾؛ أي: دمّر عليهم وعمهم بعقابه، وأرسل عليهم الصيحة من فوقهم، والرَّجفة من تحتهم، فأصبحوا جاثمين علىٰ ركبهم، لا تجد منهم داعيًا ولا مجيبًا.

﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ عليهم أي: سوىٰ بينهم بالعقوبة.

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾؛ أي: تبعتها. وكيف يخاف من هو قاهر، لا يخرج عن قهره وتصرفه مخلوق، الحكيم في كل ما قضاه وشرعه؟

تمت ولله الحمد

تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ۝١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ۝٢١﴾ [الليل]

[١-٢] هذا قسمٌ من الله بالزمان الذي تقع فيه أفعال العباد علىٰ تفاوت أحوالهم؛ فقال: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾؛ أي: يعم الخلق بظلامه، فيسكن كلٌّ إلىٰ مأواه ومسكنه، ويستريح العباد من الكد والتعب.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ للخلق، فاستضاؤوا بنوره، وانتشروا في مصالحهم.

[٣] ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ إن كانت «ما» موصولة، كان إقسامًا بنفسه الكريمة الموصوفة، بكونه خالق الذكور والإناث، وإن كانت مصدرية؛ كان قسمًا بخلقه للذكر والأنثىٰ، وكمال حكمته في ذلك أن خلَق من كل صنف من الحيوانات التي يريد إبقاءها ذكرًا وأنثىٰ، ليبقىٰ النوع ولا يضمحل، وقاد كلًّا منهما إلىٰ الآخر بسلسلة الشهوة، وجعل كلا منهما مناسبًا للآخر، فتبارك الله أحسن الخالقين.

[٤] وقوله: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ هذا هو المقسم عليه؛ أي: إن سعيكم أيها المكلفون لمتفاوت تفاوتًا كثيرًا، وذلك بحسب تفاوت نفس الأعمال ومقدارها والنشاط فيها، وبحسب الغاية المقصودة بتلك الأعمال، هل هو وجه الله الأعلىٰ الباقي؟ فيبقىٰ العمل له ببقائه، وينتفع به صاحبه، أم هي غاية مضمحلة فانية، فيبطل السعي ببطلانها، ويضمحل باضمحلالها؟

وهذا كل عمل يقصد به غير وجه الله تعالىٰ، بهذا الوصف.

[٥-٧] ولهذا فصَّل الله تعالىٰ العاملين، ووصف أعمالهم، فقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾؛ أي ما أمر به من العبادات المالية، كالزَّكوات، والكفارات والنفقات، والصدقات، والإنفاق في وجوه الخير، والعبادات البدنية كالصَّلاة، والصوم وغيرهما، والمركَّبة من ذلك، كالحج والعمرة ونحوهما، ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ ما نهي عنه، من المحرمات والمعاصي، علىٰ اختلاف أجناسها.

﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: صدق بـ«لا إله إلا الله» وما دلت عليه، من جميع العقائد الدينية، وما ترتب عليها من الجزاء الأخروي.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾؛ أي: نيسّر عليه أمره، ونجعله مسهلا عليه كل خير، ميسرًا له ترك كل شر؛ لأنه أتىٰ بأسباب التيسير، فيسر الله له ذلك.

[٨-١٠] ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ بما أمر به، فترك الإنفاق الواجب والمستحبّ، ولم تسمح نفسه بأداء ما وجب لله، ﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ عن الله، فترك عبوديته جانبًا، ولم ير نفسه مفتقرة غاية الافتقار إلىٰ ربها، الذي لا نجاة لها ولا فوز ولا فلاح، إلا بأن يكون هو محبوبها ومعبودها، الذي تقصده وتتوجّه إليه.

﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: بما أوجب الله علىٰ العباد التصديق به من العقائد الحسنة.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾؛ أي: للحالة العسرة، والخصال الذميمة، بأن يكون ميسّرًا للشر أينما كان، ومقيضًا له أفعال المعاصي، نسأل الله العافية.

[١١] ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ﴾ الذي أطغاه واستغنىٰ به، وبخل به إذا هلك ومات، فإنه لا يصحب الإنسان إلا عمله الصالح.

وأما ماله الذي لم يخرج منه الواجب؛ فإنه يكون وبالًا عليه، إذ لم يقدم منه لآخرته شيئًا.

[١٢] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾؛ أي: إن الهدىٰ المستقيم طريقه، يوصل إلىٰ الله، ويدني من رضاه، وأما الضلال، فطرقه مسدودة عن الله، لا توصل صاحبها إلا للعذاب الشديد.

[١٣] ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾ مِلكًا وتصرفًا، ليس له فيهما مشارك، فليرغب الراغبون إليه في الطَّلب، ولينقطع رجاؤهم عن المخلوقين.

[١٤-١٦] ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾؛ أي: تستعر وتتوقد.

﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾ بالخبر ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الأمر.

[١٧-٢١] ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ بأن يكون قصده به تزكية نفسه، وتطهيرها

من الذنوب والأدناس، قاصدًا به وجه الله تعالىٰ، فدل هذا علىٰ أنه إذا تضمَّن الإنفاق المستحب ترك واجبٍ؛ كدين ونفقة ونحوهما= فإنه غير مشروع؛ بل تكون عطيته مردودة عند كثير من العلماء؛ لأنه لا يتزكىٰ بفعل مستحب يفوت عليه الواجب.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ﴾؛ أي: ليس لأحد من الخلق علىٰ هذا الأتقىٰ نعمة تجزىٰ إلا وقد كافأه عليها، وربما بقي له الفضل والمنة علىٰ الناس، فتمحض عبدًا لله؛ لأنه رقيق إحسانه وحده، وأما من بقيت عليه نعمة الناس لم يجزها ويكافئها؛ فإنه لا بد أن يترك للناس، ويفعل لهم ما ينقص إخلاصه.

وهذه الآية، وإن كانت متناولة لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ بل قد قيل: إنها قد نزلت بسببه، فإنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما لأحد عنده من نعمة تجزىٰ، حتىٰ ولا رسول الله ﷺ، إلا نعمة الرسول التي لا يمكن جزاؤها، وهي نعمة الدعوة إلىٰ دين الإسلام، وتعليم الهدىٰ ودين الحق، فإن لله ورسوله المنّة علىٰ كل أحد، منة لا يمكن لها جزاء ولا مقابلة، فإنها متناولةٌ لكل من اتصف بهذا الوصف الفاضل، فلم يبق لأحد عليه من الخلق نعمة تُجزىٰ، فبقيت أعماله خالصة لوجه الله تعالىٰ.

ولهذا قال: ﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ هذا الأتقىٰ بما يعطيه الله من أنواع الكرامات والمثوبات.

والحمد لله ربِّ العالمين.

تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾ [الضحىٰ]

[١-٣] أقسم تعالىٰ بالنهار إذا انتشر ضياؤه: بالضحىٰ، وبالليل ﴿إِذَا سَجَىٰ﴾ وادلهمت ظلمته؛ علىٰ اعتناء الله برسوله ﷺ فقال: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾؛ أي: ما تركك منذ اعتنىٰ بك، ولا أهملك منذ رباك ورعاك؛ بل لم يزل يربيك أكمل تربية، ويعليك درجة بعد درجة، ﴿وَمَا﴾ قلاك الله؛ أي: ما أبغضك منذ أحبك، [**فإنَّ نفي الضِّد دليل علىٰ ثبوت ضده، والنفي المحض لا يكون مدحًا، إلا إذا تضمن ثبوت كمال**]، فهذه حال الرسول ﷺ الماضية والحاضرة، أكمل حال وأتمها، محبة الله له واستمرارها، وترقيته في درجات الكمال، ودوام اعتناء الله به.

[٤] وأما حاله المستقبلة، فقال: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾؛ أي: كل حالة متأخرة من أحوالك، فإن لها الفضل علىٰ الحالة السابقة، فلم يزل ﷺ يصعد في درجات المعالي ويمكن له الله دينه، وينصره علىٰ أعدائه، ويسدده في أحواله، حتىٰ مات، وقد وصل إلىٰ حال ما وصل إليها الأولون والآخرون، من الفضائل والنعم، وقرة العين، وسرور القلب.

[٥] ثم بعد هذا، لا تسأل عن حاله في الآخرة، من تفاصيل الإكرام، وأنواع الإنعام، ولهذا قال: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾، وهذا أمر لا يمكن التعبير عنه إلا بهذه العبارة الجامعة الشاملة.

[٦-٨] ثم امتن عليه بما يعلمه من أحواله الخاصة فقال: ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ﴾؛ أي: وجدك لا

أم لك، ولا أب، بل قد مات أبوه وأمه وهو لا يدبر نفسه، فآواه الله، وكفَّله جدَّه عبدُ المطلب، ثم لما مات جدُّه كفَّله الله عمَّه أبا طالب، حتىٰ أيده الله بنصره وبالمؤمنين، ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾؛ أي: وجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمك ما لم تكن تعلم، ووفقك لأحسن الأعمال والأخلاق، ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾؛ أي: فقيرًا، فأغناك الله بم فتح عليكمن البلدان، التي جبيت لك أموالها وخراجها، فالذي أزال عنك هذه النقائص، سيزيل عنك كل نقص، والذي أوصلك إلىٰ الغنىٰ، وآواك ونصرك وهداك، قابل نعمته بالشكران.

[٩-١١] ولهذا قال: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾؛ أي: لا تسيء معاملة اليتيم، ولا يضق صدرك عليه، ولا تنهره، بل أكرمه، وأعطه ما تيسر، واصنع به كما تحب أن يُصنع بولدك من بعدك، ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾؛ أي: لا يصدر منك كلام إلىٰ السائل يقتضي رده عن مطلوبه، بنهر وشراسة خلق، بل أعطه ما تيسر عندك أو رده بمعروف وإحسان، وهذا يدخل فيه السائل للمال، والسائل للعلم، ولهذا كان المعلم مأمورًا بحسن الخُلُق مع المتعلم، ومباشرته بالإكرام والتحنن عليه، فإن في ذلك معونة له علىٰ مقصده، وإكرامًا لمن كان يسعىٰ في نفع العباد والبلاد، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ وهذا يشمل النعم الدينية والدنيوية؛ أي: أثن علىٰ الله بها، وخصها بالذكر إن كان هناك مصلحة، وإلا؛ فحدث بنعم الله علىٰ الإطلاق، فإن التحدث بنعمة الله، داع لشكرها، وموجب لتحبيب القلوب إلىٰ من أنعم بها، فإن القلوب مجبولة علىٰ محبة المحسن.

تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح]

[١-٤] يقول تعالىٰ ممتنًا علىٰ رسوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾؛ أي: نوسعه لشرائع الدين والدعوة إلىٰ الله، والاتصاف بمكارم الأخلاق، والإقبال علىٰ الآخرة، وتسهيل الخيرات فلم يكن ضيقًا حرجًا، لا يكاد ينقاد لخير، ولا تكاد تجده منبسطًا، ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾؛ أي: ذنبك، ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ﴾؛ أي: أثقل ﴿ظَهْرَكَ﴾ كما قال تعالىٰ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾؛ أي: أعلينا قدرك، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي، الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، فلا يذكر الله إلا ذُكِرَ معه رسوله ﷺ، كما في الدخول في الإسلام، وفي الأذان، والإقامة، والخطب، وغير ذلك من الأمور التي أعلىٰ الله بها ذِكْر رسوله محمد ﷺ، وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحد غيره بعد الله تعالىٰ، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزىٰ نبيًا عن أمته.

[٥-٦] وقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ بشارة عظيمة، أنه كلما وُجِدَ عسر وصعوبة، فإن اليسر يقارنه ويصاحبه، حتىٰ لو دخل العسر جحر ضب لدخل عليه اليسر، فأخرجه كما قال تعالىٰ: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾، وكما قال النبي ﷺ: «**وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرًا**».

وتعريف (العسر) في الآيتين، يدل علىٰ أنه واحد، وتنكير (اليسر) يدل علىٰ تكراره، فلن يغلب عسر يسرين.

وفي تعريفه بالألف واللام الدال علىٰ الاستغراق والعموم يدل علىٰ أن كل عسر -وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ- فإنه في آخره التيسير ملازم له.

[٧ – ٨] ثم أمر الله رسوله أصلًا، والمؤمنين تبعًا، بشكره والقيام بواجب نعمه، فقال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾؛ أي: إذا تفرغت من أشغالك، ولم يبق في قلبك ما يَعُوقُهُ، فاجتهد في العبادة والدعاء، ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وحده ﴿فَٱرْغَب﴾؛ أي: أعظم الرغبة في إجابة دعائك وقبول دعواتك، ولا تكن ممن إذا فرغوا وتفرغوا لعبوا وأعرضوا عن ربهم وعن ذكره، فتكون من الخاسرين.

وقد قيل: إن معنىٰ هذا: فإذا فرغت من الصلاة وأكملتها، فانصب في الدعاء، وإلىٰ ربك فارغب في سؤال مطالبك.

واستدل من قال هذا القول، علىٰ مشروعية الدعاء والذكر عقب الصلوات المكتوبات، والله أعلم.

وبذلك تمت، ولله الحمد.

تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿وَٱلتِّينِ﴾

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ١ وَطُورِ سِينِينَ ٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ٧ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨﴾ [التين]

[١ – ٣] ﴿ٱلتِّينِ﴾ هو التين المعروف، وكذلك ﴿وَٱلزَّيۡتُونِ﴾ أقسم بهاتين الشجرتين، لكثرة منافع شجرهما وثمرهما، ولأن سلطانهما في أرض الشام، محل نبوة عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾؛ أي: طور سيناء، محل نبوة موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾ وهو: مكة المكرمة، محل نبوة محمد ﷺ، فأقسم تعالىٰ بهذه المواضع المقدسة، التي اختارها وابتعث منها أفضل الأَنْبِيَاء وأشرفهم.

[٤] والمقسَم عليه قوله: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾؛ أي: تامِّ الخلق، متناسبِ الأعضاء، منتصبِ القامة، لم يفقد مما يحتاج إليه ظاهرًا وباطنًا شيئًا.

[٥ – ٦] ومع هذه النعم العظيمة، التي ينبغي منه القيام بشكرها، فأكثر الخلق منحرفون عن شكر المنعم، مشتغلون باللهو واللعب، قد رضوا لأنفسهم بأسافل الأمور، وسفساف الأخلاق، فردهم الله في أسفل سافلين، أي: أسفل النار، موضع العصاة المتمردين علىٰ ربهم، إلا مَن منَّ الله عليه بالإيمان والعمل الصالح، والأخلاق الفاضلة العالية، ﴿فَلَهُمۡ﴾ بذلك المنازل العالية، و ﴿أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾؛ أي: غير مقطوع، بل لذات متوافرة، وأفراح متواترة، ونعم متكاثرة، في أبد لا يزول، ونعيم لا يحول، أكلها دائم وظلها.

[٧ – ٨] ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ﴾؛ أي: أيُّ شيء يكذبك أيها الإنسان بيوم الجزاء علىٰ الأعمال، وقد رأيت من آيات الله الكثيرة ما يحصل لك به اليقين، ومن نعمه ما يوجب عليك ألا تكفر بشيء منها.

﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ فهل تقتضي حكمته أن يترك الخلق سدىٰ لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون؟ أم الذي خلق الإنسان أطوارًا بعد أطوار، وأوصل إليهم من النعم والخير والبر ما لا يحصونَه، ورباهم التربية الحسنة، لا بد أن يعيدهم إلىٰ دار هي مستقرهم وغايتهم، التي إليها يقصدون، ونحوها يَؤُمُّون.

تمت والحمد لله

تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ
بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ
ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ۝١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ
۝١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥
نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ۝١٦ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ
وَٱقۡتَرِب۩ ۝١٩﴾ [العلق]

[١] هذه السورة أول السور القرآنية نزولًا علىٰ رسول الله ﷺ؛ فإنها نزلت عليه في مبادئ النبوة، إذ كان لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، فجاءه جبريل عليه الصَّلاة والسَّلام بالرسالة، وأمره أن يقرأ، فامتنع، وقال: «ما أنا بقارئ»، فلم يزل به حتىٰ قرأ؛ فأنزل الله عليه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ عموم الخلق.

[٢] ثم خص الإنسان، وذكر ابتداء خلقه ﴿مِنۡ عَلَقٍ﴾، فالذي خلق الإنسان واعتنىٰ بتدبيره لا بد أن يدبره بالأمر والنهي، وذلك بإرسال الرسل وإنزال الكتب، ولهذا أتىٰ بعد الأمر بالقراءة بخلقه للإنسان.

[٣ – ٥] ثم قال: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾؛ أي: كثير الصفات واسعها، كثير الكرم والإحسان، واسع الجود، الذي من كرمه أن علَّم أنوَاع العلوم، و﴿عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾، فإنه تعالىٰ أخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئًا، وَجَعَلَ له السمع والبصر والفؤاد، ويسر له أسباب العلم، فعلمه القرآن، وعلمه الحكمة، وعلمه بالقلم، الذي به تُحفظ العلوم، وتضبط الحقوق، وتكون رسلًا للناس تنوب مناب خطابهم، فلله الحمد والمنة، الذي أنعم علىٰ عباده بهذه النعم التي لا يقدرون لها علىٰ جزاء ولا شكور، ثم منَّ عليهم بالغنىٰ وسعة الرزق.

[٦ – ٨] ولكن الإنسان -لجهله وظلمه- إذا رأىٰ نفسه غنيًا، طغىٰ وبغىٰ وتجبر عن الهدىٰ، ونسي أن إلىٰ ربه ﴿ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾، ولم يَخَفِ الجزاء؛ بل ربما وصلت به الحال أنه يترك الهدىٰ بنفسه، ويدعو غيره إلىٰ تركه، فينهىٰ عن الصلاة التي هي أفضل أعمال الإيمان.

[٩ – ١٤] يقول الله لهذا المتمرد العاتي: ﴿أَرَءَيۡتَ﴾؛ أيها الناهي للعبد إذا صلىٰ ﴿إِن كَانَ﴾ العبد المصلي ﴿عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ العلم بالحق والعمل به، ﴿أَوۡ أَمَرَ﴾ غيره ﴿بِٱلتَّقۡوَىٰٓ﴾، فهل يحسن أن ينهىٰ، من هذا وصفه؟ أليس نهيه من أعظم المحادة لله، والمحاربة للحق؟ فإن النهي لا يتوجه إلا لمن هو في نفسه علىٰ غير الهدىٰ، أو كان يأمر غيره بخلاف التقوىٰ، ﴿أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ﴾ الناهي بالحق ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ عن الأمر، أما يخاف الله ويخشىٰ عقابه؟ ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ ما يعمل ويفعل؟

[١٥ – ١٦] ثم توعده إن استمر علىٰ حاله، فقال: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ﴾ عما يقول ويفعل ﴿لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾؛ أي: لنأخذن بناصيته، أخذًا عنيفًا، وهي حقيقة بذلك، فإنها ﴿نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ﴾؛ أي: كاذبةٌ في قولها، خاطئةٌ في فعلها.

[١٧ – ١٨] ﴿فَلۡيَدۡعُ﴾ هذا الذي حق عليه العذاب ﴿نَادِيَهُۥ﴾؛ أي: أهل مجلسه وأصحابه ومن حوله، ليعينوه علىٰ ما نزله به، ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾؛ أي: خزنة جهنم، لأخذه وعقوبته، فلينظر أي: الفريقين أقوىٰ وأقدر؟ فهذه حالة الناهي وما تُوعِّد به من العقوبة.

[١٩] وأما حالة المنهي، فأمره الله ألا يصغي إلىٰ هذا الناهي ولا ينقاد لنهيه فقال: ﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ﴾؛ أي: فإنه لا يأمر إلا بما فيه خسارة، ﴿وَٱسۡجُدۡ﴾ لربك ﴿وَٱقۡتَرِب۩﴾ منه في السجود وغيره من أنواع الطاعات والقربات، فإنها كلها تُدني من رضاه وتقرب منه.

وهذا عَامٌّ لكل ناهٍ عن الخير ومنهي عنه، وإن كانت نازلة في شأن أبي جهل حين نهىٰ رسول الله ﷺ عن الصلاة، وعذّبه وآذاه.

تمت، والحمد لله رب العالمين.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْقَدْرِ
وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر]

[١] يقول تعالىٰ مبينًا لفضل القرآن وعلو قدره: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾، وذلك أنَّ الله تعالىٰ، ابتدأ بإنزال القرآن في رمضان في ليلة القدر، ورحم الله بها العباد رحمة عامة، لا يقدر العباد لها شكرًا، وسُمِّيت ليلة القدر، لِعظم قدرها وفضلها عند الله، ولأنه يقدَّر فيها ما يكون في العام من الأجل والأرزاق والمقادير القدريّة.

[٢] ثم فخم شأنها وعظم مقدارها، فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾؛ أي: فإن شأنها جليل وخطرها عظيم.

[٣] ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾؛ أي: تعادل من فضلها ألف شهر، فالعمل الذي يقع فيها، خير من العمل في ألف شهر خالية منها، وهذا مما تتحير فيه الألباب، وتندهش له العقول، حيث منَّ تبارك وتعالىٰ علىٰ هذه الأمة الضعيفة القوة والقوىٰ، بليلة يكون العمل فيها يقابل ويزيد علىٰ ألف شهر، عُمْر رجل معمَّر عمرًا طويلًا، نيّفًا وثمانين سنة.

[٤] ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾؛ أي: يكثر نزولهم فيها ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾.

[٥] ﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾؛ أي: سالمة من كل آفة وشر، وذلك لكثرة خيرها، ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾؛ أي: مبتداها من غروب الشمس ومنتهاها طلوع الفجر.

وقد تواترت الأحاديث في فضلها، وأنها في رمضان، وفي العشر الأواخر منه، خصوصًا في أوتاره، وهي باقية في كل سنة إلىٰ قيام الساعة، ولهذا كان النبي ﷺ، يعتكف، ويكثر من التعبد في العشر الأواخر من

رمضان، رجاء ليلة القدر.

والله أعلم

تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿لَمْ يَكُنِ﴾

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ۝٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ۝٣ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝٤ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧﴾ [البينة]

[١] يقول تعالىٰ: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾؛ أي: من اليهود والنصارىٰ ﴿وَٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ من سائر أصناف الأمم.

﴿مُنفَكِّينَ﴾ عن كفرهم وضلالهم الذي هم عليه؛ أي: لا يزالون في غيِّهم وضلالهم، لا يزيدهم مرور الأوقات إلا كفرًا ﴿حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ الواضحة والبرهان الساطع.

[٢-٣] ثم فسر تلك البينة فقال: ﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أرسله الله، يدعو الناس إلىٰ الحق، وأنزل عليه كتابًا يتلوه، ليعلِّم الناس الحكمة ويزكيهم ويخرجهم من الظلمات إلىٰ النور، ولهذا قال: ﴿يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ﴾؛ أي: محفوظة من قربان الشياطين، لا يمسها إلا المطهَّرون، لأنها أعلىٰ ما يكون من الكلام؛ ولهذا قال عنها: ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في تلك الصحف ﴿كُتُبٞ قَيِّمَةٞ﴾؛ أي: أخبار صادقة، وأوامر عادلة تهدي إلىٰ الحق وإلىٰ طريق مستقيم، فإذا جاءت هذه البيِّنة فحينئذ يتبين طالب الحق ممن ليس له مقصدٌ في طلبه، فيهلَك من هلك عن بينة، ويحيا من حيَّ عن بينة.

[٤] وإذا لم يؤمن أهل الكتاب لهذا الرسول وينقادوا له، فليس ذلك ببدع من ضلالهم وعنادهم،

فإنهم ما تفرَّقوا واختلفوا وصاروا أحزابًا ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ التي توجب لأهلها الاجتماع والاتفاق، ولكنَّهم لرداءتهم ونذالتهم لم يزدهم الهدىٰ إلا ضلالًا ولا البصيرة إلا عمىٰ.

[٥] مع أن الكتب كلها جاءت بأصل واحد ودين واحد، فما أمروا في سائر الشرائع إلا أن يعبدوا ﴿ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾؛ أي: قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله وطلب الزُّلفىٰ لديه، ﴿حُنَفَآءَ﴾؛ أي: معرضين مائلين عن سائر الأديان المخالفة لدين التوحيد، وخصَّ الصلاة والزكاة بالذِّكر مع أنهما داخلان فِـي قَوْلِه: ﴿لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ﴾ لفضلهما وشرفهما وكونِهما العبادتين اللتين من قام بهما قام بجميع شرائع الدين، ﴿وَذَٰلِكَ﴾ التوحيد والإخلاص في الدين، هو ﴿دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾؛ أي: الدين المستقيم، الموصل إلىٰ جنات النعيم، وما سواه فطرق موصلة إلىٰ الجحيم.

[٦] ثم ذكر جزاء الكافرين بعدما جاءتهم البينة، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ قد أحاط بهم عذابها، واشتد عليهم عقابها، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ﴾ لا يُفتَّر عنهم العذاب، وهم فيها مبلسون، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ لأنهم عرفوا الحق وتركوه وخسروا الدنيا والآخرة.

[٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ لأنهم عبدوا الله وعرفوه وفازوا بنعيم الدنيا والآخرة.

﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾ [البينة]

[٨] ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾؛ أي: جنات إقامة، لا ظعن فيها ولا رحيل ولا طلب لغاية فوقها، ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ فرضي عنهم بما قاموا به من مراضيه، ورضوا عنه بما أعد لهم من أنواع الكرامات وجزيل المثوبات ﴿ذَٰلِكَ﴾ الجزاء الحسن ﴿لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾؛ أي: لمن خاف الله فأحجم عن معاصيه وقام بما أوجب عليه.

تمت والحمد لله

تفسير سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾

وهي مدنيَّة

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة]

[١-٢] يخبر تعالىٰ عما يكون يوم القيامة، وأن الأرض تتزلزل وترجف وترتج حتىٰ يسقط ما عليها من بناء ومَعْلَم، فتندك جبالها وتسوىٰ تلالها وتكون قاعًا صفصفًا لا عوج فيه ولا أمتًا، ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾؛ أي: ما في بطنها، من الأموات والكنوز.

[٣] ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ إذا رأىٰ ما عراها من الأمر العظيم مستعظمًا لذلك: ﴿مَا لَهَا﴾؛ أي: أي شيء عرض لها؟!

[٤-٥] ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ﴾ الأرض ﴿أَخْبَارَهَا﴾؛ أي: تشهد علىٰ العاملين بما عملوا علىٰ ظهرها من خير وشر؛ فإن الأرض من جملة الشهود الذين يشهدون علىٰ العباد بأعمالهم، ذلك ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾؛ أي أمرها أن تخبر بما عمل عليها؛ فلا تعصي لأمره.

[٦] ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ من موقف القيامة، حين يقضي الله بينهم ﴿أَشْتَاتًا﴾؛ أي: فرقًا متفاوتين؛ ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ أي: ليريهم الله ما عملوا من السيئات والحسنات، ويريهم جزاءه موفَّرًا.

[٧-٨] ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾، وهذا شامل عَامٌّ للخير والشر كله، لأنه إذا رأىٰ مثقال الذرة، التي هي أحقر الأشياء، وجوزِيَ عليها فما فوق ذلك من باب أولىٰ وأحرىٰ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾، ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾، وهذه الآية فيها غاية الترغيب في

فعل الخير ولو قليلًا، والترهيب من فعل الشر ولو حقيرًا.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْعَادِيَاتِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ٥ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ٨ ۞أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ١١﴾ [العاديات]

[١] أقسم الله تبارك وتعالىٰ بالخيل، لما فيها من آياته الباهرة ونعمه الظاهرة ما هو معلوم للخلق، وأقسم تعالىٰ بها في الحال التي لا يشاركها فيه غيرها من أنواع الحيوانات، فقال: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا﴾؛ أي: العاديات عدوًا بليغًا قويًا، يصدر عنه الضبح، وهو صوت نفسها في صدرها، عند اشتداد عدوها.

[٢] ﴿فَٱلۡمُورِيَٰتِ﴾ بحوافرهن ما يطأن عليه من الأحجار ﴿قَدۡحٗا﴾؛ أي: تنقدح النار من صلابة حوافرهن وقوّتهن إذا عدون.

[٣] ﴿فَٱلۡمُغِيرَٰتِ﴾ علىٰ الأعداء ﴿صُبۡحٗا﴾، وهذا أمر أغلبي أنَّ الغارة تكون صباحًا.

[٤-٥] ﴿فَأَثَرۡنَ بِهِۦ﴾؛ أي: بعدوهن وغارتهن ﴿نَقۡعٗا﴾؛ أي: غبارًا، ﴿فَوَسَطۡنَ بِهِۦ﴾؛ أي: براكبهن ﴿جَمۡعًا﴾؛ أي: توسطن به جموع الأعداء الذين أغار عليهم.

[٦] والمقسَم عليه قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾؛ أي: لمنوع للخير الذي عليه لربه، فطبيعة الإنسان وجبلّته أن نفسه لا تسمح بما عليه من الحقوق فتؤديها كاملة موفرة؛ بل طبيعتها الكسل والمنع لما عليه من الحقوق المالية والبدنية؛ إلا من هداه الله وخرج عن هذا الوصف إلىٰ وصف السماح بأداء الحقوق.

[٧] ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ﴾؛ أي: إن الإنسان علىٰ ما يعرفُ من نفسه من المنع والكند لشاهد بذلك لا يجحده ولا ينكره؛ لأن ذلك أمر بيِّنٌ واضح، ويحتمل أن الضمير عائد إلىٰ الله تعالىٰ؛ أي: إن

العبد لربه لكنود والله شهيد علىٰ ذلك، ففيه الوعيد والتَّهديد لمن هو لربه كنود بأن الله عليه شهيد.

[٨] ﴿وَإِنَّهُۥ﴾؛ أي: الإنسان ﴿لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾؛ أي: المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾؛ أي: كثير الحب للمال، وحبه لذلك هو الذي أوجب له ترك الحقوق الواجبة عليه، قدم شهوة نفسه علىٰ رضىٰ ربه، وكل هذا لأنه قصَر نظره علىٰ هذه الدار، وغفل عن الآخرة.

[٩-١٠] ولهذا قال حاثًّا له علىٰ خوف يوم الوعيد: ﴿۞أَفَلَا يَعْلَمُ﴾؛ أي: هلَّا يعلم هذا المغتر ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾؛ أي: أخرج الله الأموات من قبورهم لحشرهم ونشورهم، ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾؛ أي: ظهر وبان ما فيها وما استتر في الصدور من كمائن الخير والشر، فصار السر علانية، والباطن ظاهرًا، وبان علىٰ وجوه الخلق نتيجة أعمالهم.

[١١] ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ﴾؛ أي: مطلع علىٰ أعمالهم الظاهرة والباطنة، الخفية والجلية، ومجازيهم عليها، وخص خُبرَهم بذلك اليوم مع أنه خبير بهم كلَّ وقت؛ لأن المراد بذلك الجزاء بالأعمال الناشئ عن علم الله واطلاعه.

تَفسِيرُ سُورَةِ الْقَارِعَةِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١﴾ [القارعة]

[١-٣] ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾ من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك؛ لأنها تقرع الناس وتزعجهم بأهوالها، ولهذا عظم أمرها وفخمه بقوله: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾.

[٤] ﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ﴾ من شدة الفزع والهَول، ﴿كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾؛ أي: كالجراد المنتشر، الذي يموج بعضه في بعض، والفراش: هي الحيوانات التي تكون في الليل، يموج بعضها ببعض لا تدري أين توجَّه، فإذا أُوقِدَ لها نارٌ تَهَافتت إليها لضعف إدراكها، فهذه حال الناس أهلِ العقول.

[٥] وأما الجبال الصُّمُّ الصِّلابُ، فتكون ﴿كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾؛ أي: كالصوف المنفوش الذي بقي ضعيفًا جدًّا، تطير به أدنىٰ ريح.

قال تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾، ثم بعد ذلك تكون هباءً منثورًا، فتضمحل ولا يبقىٰ منها شيء يشاهد؛ فحينئذ تُنصَبُ الموازين، وينقسم الناس قسمين: سعداء وأشقياء.

[٦-٧] ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾؛ أي: رجحت حسناته علىٰ سيئاته ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾ في جنات النعيم.

[٨-١١] ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بأن لم تكن له حسنات تقاوم سيئاته، ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ﴾؛ أي: مأواه ومسكنه النار، التي من أسمائها (الهاوية)، تكون له بمنزلة الأم الملازمة، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾، وقيل: إن معنىٰ ذلك، فأم دماغه هاوية في النار، أي: يُلقىٰ في النار علىٰ رأسه، ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ﴾ وهذا تعظيم لأمرها، ثم فسرها بقوله: ﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾؛ أي: شديدة الحرارة، قد زادت

حرارتها علىٰ حرارة نار الدنيا بسبعين ضعفًا، نستجير بالله منها.

تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرِ﴾

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر]

[١] يقول تعالىٰ موبِّخًا عباده عن اشتغالهم عما خلقوا له من عبادته وحده لا شريك له ومعرفته والإنابة إليه، وتقديم محبته علىٰ كل شيء: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ﴾ عن ذلك المذكور ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾ ولم يذكر المتكاثَر به، ليشمل ذلك كل ما يَتكاثر به المتكاثرون، ويفتخر به المفتخرون من التكاثر في الأموال والأولاد والأنصار والجنود والخدم والجاه وغير ذلك مما يُقصد منه مكاثرة كل واحد للآخر، وليس المقصود منه وجه الله.

[٢] فاستمرت غفلتكم ولهوتُكم وتشاغلكم ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ فانكشف حينئذ لكم الغطاء، ولكن بعد ما تعذَّر عليكم استئنافه.

ودلَّ قوله: ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ أن البرزخ دار المقصود منها النُّفوذ إلىٰ الدار الآخرة، لِأَنَّ الله سماهم زائرين ولم يسمِّهم مقيمين، فدل ذلك علىٰ البعث والجزاء بالأعمال في دار باقية غير فانية.

[٣-٦] ولهذا توعدهم بقوله: ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝٥﴾؛ أي: لو تعلمون ما أمامكم علمًا يصل إلىٰ القلوب لما ألهاكم التكاثر ولبادرتم إلىٰ الأعمال الصالحة، ولكن عدم العلم الحقيقي صيَّركم إلىٰ ما ترون، ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦﴾؛ أي: لتردن القيامة، فلترون الجحيم التي أعدها الله للكافرين.

[٧] ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ۝٧﴾؛ أي: رؤية بصرية، كما قال تعالىٰ: ﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ

أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾.

[٨] ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾؛ أي: الذي تنعمتم به في دار الدنيا، هل قمتم بشكره، وأديتم حق الله فيه، ولم تستعينوا به علىٰ معاصيه فينعمُكم نعيمًا أعلىٰ منه وأفضل، أم اغتررتم به، ولم تقوموا بشكره؟ بل ربما استعنتم به علىٰ معاصي الله فيعاقبكم علىٰ ذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ الآية.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْعَصْرِ
وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر]

[١-٣] أقسم تعالىٰ بـ(العصر) الذي هو الليل والنهار محل أفعال العباد وأعمالهم أن كل إنسان خاسر، والخاسر ضد الرابح.

والخسار مراتب متعددة متفاوتة:

- قد يكون خسارًا مطلقًا؛ كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم.

- وقد يكون خاسرًا من بعض الوجوه دون بعض، ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان؛ **إلا من اتصف بأربع صفات:**

- الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه لا يتم إلا به.
- والعمل الصالح؛ وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحقوق الله وبحقوق عباده، الواجبة والمستحبة.
- والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضًا بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه.
- والتواصي بالصبر علىٰ طاعة الله، وعن معصية الله، وعلىٰ أقدار الله المؤلمة.

فبالأمرين الأولين، يُكمِّل العبد نفسه، وبالأمرين الأخيرين يُكمِّل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة، يكون الإنسان قد سلم من الخسار، وفاز بالربح العظيم.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْهُمَزَةِ
وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ٩﴾ [الهمزة]

[١] ﴿وَيۡلٞ﴾؛ أي: وعيد ووبال وشدة عذاب ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾؛ أي: الذي يهمز الناس بفعله، ويلمزهم بقوله.

فالهماز: الذي يعيب الناس، ويطعن عليهم بالإشارة والفعل.

واللماز: الذي يعيبهم بقوله.

[٢] ومن صفة هذا الهماز اللماز، أنه لا هم له سوىٰ جمع المال وتعديده والغبطة به، وليس له رغبة في إنفاقه في طرق الخيرات وصلة الأرحام، ونحو ذلك.

[٣] ﴿يَحۡسَبُ﴾ بجهله ﴿أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ﴾ في الدنيا، فلذلك كان كدُّه وسعيه كلُّه في تنمية ماله، الذي يظن أنه ينمِّي عمره، ولم يدر أنَّ البخل يقصف الأعمار، ويخرِّب الدِّيار، وأن البِرَّ يزيد في العمر.

[٤-٧] ﴿كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ﴾؛ أي: ليطرحن ﴿فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ﴾ تعظيمٌ لها، وتهويلٌ لشأنها، ثم فسرها بقوله: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ﴾ التي وقودها الناس والحجارة ﴿ٱلَّتِي﴾ من شدَّتها ﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾؛ أي: تنفذُ من الأجسام إلىٰ القلوب.

[٨] ومع هذه الحرارةِ البليغة هم محبوسون فيها، قد أيِسُوا من الخروج منها، ولهذا قال: ﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ﴾؛ أي: مغلقة ﴿فِي عَمَدٖ﴾ من خلفِ الأبواب ﴿مُّمَدَّدَةِۭ﴾ لئلا يخرجوا منها ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾، نعوذ بالله من ذلك، ونسأله العفو والعافية.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفِيلِ
وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ۝٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ۝٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ۝٥﴾ [الفيل]

[١-٥] أي: أما رأيت من قدرة الله وعظيم شأنه ورحمته بعباده وأدلة توحيده وصدق رسوله محمد ﷺ ما فعله الله بأصحاب الفيل الذين كادوا بيته الحرام وأرادوا خرابه، فتجهزوا لأجل ذلك، واستصحبوا معهم الفيلة لهدمه، وجاءوا بجمع لا قِبَل للعرب به من الحبشة واليمن.

فلما انتهوا إلىٰ قرب مكة، ولم يكن بالعرب مدافعة، وخرج أهل مكة من مكة خوفًا علىٰ أنفسهم منهم، أرسل الله عليهم ﴿طَيۡرًا أَبَابِيلَ﴾؛ أي: متفرقة، تحمل أحجارًا مُحمَاةً ﴿مِّن سِجِّيلٖ﴾، فرمتهم بها، وتتبَّعت قاصيَهم ودانيهم، فخمدوا وهمدوا، وصاروا ﴿كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ﴾، وكفىٰ اللهُ شرهم، ورد كيدهم في نحورهم، وقصتهم معروفةٌ مشهورة، وكانت تلك السَّنَةُ التي وِلِدَ فيها رسول الله ﷺ، فصارت من جملة إرهاصات دعوته وأدلة رسالته، فللَّه الحمد والشكر.

تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾ [قريش]

[١-٤] قال كثير من المفسرين: إن الجار والمجرور متعلق بالسورة التي قبلها؛ أي: فعلنا ما فعلنا بأصحاب الفيل لأجل قريش وأمنهم، واستقامة مصالحهم، وانتظام رحلتهم في الشتاء لليمن، وفي الصيف للشام، لأجل التجارة والمكاسب؛ فأهلك الله من أرادهم بسوء، وعظَّم أمر الحرم وأهله في قلوب العرب، حتىٰ احترموهم، ولم يعترضوا لهم في أي سفر أرادوا، ولهذا أمرهم الله بالشكر، فقال: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾؛ أي: ليوحدوه ويخلصوا له العبادة، ﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾، فرغَد الرزق والأمن من الخوف، من أكبر النعم الدنيوية الموجبة لشكر الله تعالىٰ.

فلك اللهم الحمد والشكر علىٰ نعمك الظاهرة والباطنة.

وخصَّ الله الربوبية بالبيت لفضله وشرفه، وإلا فهو ربُّ كلِّ شيء.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمَاعُونِ
وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧﴾ [الماعون]

[١] يقول تعالىٰ ذامًّا لمن ترك حقوقه وحقوق عباده: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾؛ أي: بالبعث والجزاء، فلا يؤمن بما جاءت به الرسل.

[٢] ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ﴾؛ أي: يدفعه بعنف وشدة، ولا يرحمه لقساوة قلبه، ولأنه لا يرجو ثوابًا، ولا يخاف عقابًا.

[٣] ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ غيره ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ ومن باب أولىٰ أنه بنفسه لا يطعم المسكين.

[٤-٥] ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ﴾؛ أي: الملتزمين لإقامة الصلاة، ولكنهم ﴿عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾؛ أي: مضيعون لها، تاركون لوقتها، مخلون بأركانها، وهذا لعدم اهتمامهم بأمر الله حيث ضيعوا الصلاة التي هي أهم الطاعات، والسهو عن الصلاة هو الذي يستحق صاحبه الذم واللوم.

وأما السهو في الصلاة، فهذا يقع من كل أحد، حتىٰ من النبي ﷺ.

[٦-٧] ولهذا وصف الله هؤلاء بالرياء والقسوة وعدم الرحمة، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ﴾؛ أي يعملون الأعمال لأجل رئاء الناس، ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾؛ أي: يمنعون إعطاء الشيء، الذي لا يضر إعطاؤه علىٰ وجه العارية، أو الهبة، كالإناء، والدلو، والفأس، ونحو ذلك، مما جرت العادة ببذله والسماح به، فهؤلاء لشدة حرصهم يمنعون الماعون، فكيف بما هو أكثر منه؟!

وفي هذه السورة الحث علىٰ إطعام اليتيم والمساكين والتحضيض علىٰ ذلك ومراعاة الصلاة والمحافظة عليها وعلىٰ الإخلاص فيها وفي سائر الأعمال.

والحث علىٰ فعل المعروف وبذل الأمور الخفيفة؛ كعارية الإناء والدلو والكتاب ونحو ذلك؛ لأن الله ذم من لم يفعل ذلك.

والله سبحانه أعلم.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْكَوْثَرِ
وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾ [الكوثر]

[١] يقول الله تعالىٰ لنبيه محمد ﷺ ممتنًّا عليه: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾؛ أي: الخيرَ الكثير والفضلَ الغزير الذي من جملته ما يعطيهِ الله لنبيه ﷺ يوم القيامة من النهر الذي يقال له: (الكوثر) ومن الحوض؛ طوله شهر، وعرضه شهر، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلىٰ من العسل، آنيته عدد نجوم السماء في كثرتها واستنارتها، من شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبدًا.

[٢] ولما ذكر منَّته عليه أمره بشكرها فقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾، خص هاتين العبادتين بالذكر لأنهما من أفضل العبادات وأجل القربات، ولأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح لله، وتنقُّلُه في أنواع العبودية، وفي النحر تقربٌ إلىٰ الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج للمال الذي جبلت النفوس علىٰ محبته والشح به.

[٣] ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾؛ أي: مبغضك وذامك ومنتقِّصك ﴿هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾؛ أي: المقطوع من كل خير، ومقطوع العمل مقطوع الذكر، وأما محمد ﷺ، فهو الكامل حقًّا، الذي له الكمال الممكن للمخلوق من رفع الذكر وكثرة الأنصار والأتباع ﷺ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾ [الكافرون]

[١-٦] أي: قل للكافرين معلنًا ومصرحًا ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾؛ أي: تبرأ مما كانوا يعبدون من دون الله، ظاهرًا وباطنًا.

﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ لعدم إخلاصكم في عبادتكم لله؛ فعبادتكم له المقترنة بالشرك لا تسمىٰ عبادة.

وكرَّر ذلك ليدل الأول علىٰ عدم وجود الفعل، والثاني علىٰ أن ذلك قد صار وصفًا لازمًا؛ ولهذا ميز بين الفريقين وفصل بين الطائفتين، فقال: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ كما قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾.

تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّصْرِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر]

[١-٣] في هذه السورة الكريمة، بشارة وأمر لرسوله عند حصولها، وإشارة، وتنبيه علىٰ ما يترتب علىٰ ذلك:

فالبشارة: هي البشارة بنصر الله لرسوله، وفتحه مكة، ودخول الناس ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾، بحيث يكون كثير منهم من أهله وأنصاره، بعد أن كانوا من أعدائه، وقد وقع هذا المبشَّر به.

وأما الأمر بعد حصول النصر والفتح؛ فأمر الله رسوله أن يشكره علىٰ ذلك، ويسبحَ بحمده ويستغفرَه.

وأما الإشارة، فإن في ذلك إشارتين:

- إشارة لأن يستمر النصر لهذا الدين، ويزداد عند حصول التسبيح بحمد الله واستغفاره من رسوله، فإن هذا من الشكر، والله يقول: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾، وقد وُجِدَ ذلك في زمن الخلفاء الراشدين وبعدهم في هذه الأمة لم يزل نصر الله مستمرًا، حتىٰ وصل الإسلام إلىٰ ما لم يصل إليه دين من الأديان، ودخل فيه، ما لم يدخل في غيره، حتىٰ حدث من الأمة من مخالفة أمر الله ما حدث، فابتلوا بتفرق الكلمة، وتشتت الأمر، فحصل ما حصل، ومع هذا فلهذه الأمة وهذا الدين من رحمة الله ولطفه ما لا يخطر بالبال أو يدور في الخيال.

- وأما الإشارة الثَّانِيَة: فهي الإشارة إلىٰ أن أجل رسول الله ﷺ قد قَرُب ودنا، ووجه ذلك أن عمره عمر فاضل أقسم الله به، وقد عُهد أن الأمور الفاضلة تختم بالاستغفار، كالصلاة والحج، وغير ذلك.

فأمْر الله لرسوله بالحمد والاستغفار في هذه الحال، إشارة إلىٰ أن أجله قد انتهىٰ، فليستعد ويتهيأ للقاء ربه، ويختِم عمره بأفضل ما يجده صلوات الله وسلامه عليه.

فكان ﷺ يتأول القرآن، ويقول ذلك في صلاته، يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي».

تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿تَبَّتْ﴾

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ٥﴾ [المسد]

أبو لهب هو عم النبي ﷺ، وكان شديد العداوة والأذية له، فلا فيه دين له ولا حمية للقرابة -قبحه الله-، فذمه الله بهذا الذم العظيم، الذي هو خزيٌ عليه إلىٰ يوم القيامة، فقال:

[١] ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾؛ أي: خسرت يداه، وشقي ﴿وَتَبَّ﴾ فلم يربح.

[٢] ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ﴾ الذي كان عنده فأطغاه، ولا ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ فلم يرد عنه شيئًا من عذاب الله إذْ نزل به.

[٣-٥] ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾؛ أي: ستحيط به النار من كل جانب، هو ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾، وكانت أيضًا شديدة الأذية لرسول الله ﷺ، تتعاون هي وزوجها علىٰ الإثم والعدوان، وتلقي الشر، وتسعىٰ غاية ما تقدر عليه في أذية الرسول ﷺ، وتجمع علىٰ ظهرها الأوزار بمنزلة من يجمعُ حطبًا، قد أعد له في عنقه حبلًا ﴿مِّن مَّسَدِۭ﴾؛ أي: من ليف، أو أنها تحمل في النار الحطب علىٰ زوجها، متقلدة في عنقها حبلًا من مسد.

وعلىٰ كلٍّ ففي هذه السورة آية باهرة من آيات الله، فإن الله أنزل هذه السورة وأبو لهب وامرأته لم يهلكا، وأخبر أنهما سيعذبان في النار ولابد، ومن لازم ذلك أنهما لا يُسلمان، فوقع كما أخبر عالم الغيب والشَّهادة.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الإِخْلَاصِ
وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص]

[١] أي ﴿قُلۡ﴾ قولًا جازمًا به، معتقدًا له، عارفًا بمعناه، ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنىٰ، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل.

[٢] ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾؛ أي: المقصود في جميع الحوائج، فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم، لأنه الكامل في أوصافه، العليم الذي قد كَمُلَ في علمه، الحليم الذي قد كَمُلَ في حلمه، الرحيم الذي كمل في رحمته الذي وسعت رحمته كل شيء.. وهكذا سائر أوصافه.

[٣] ومن كماله أنه ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ﴾ لكمال غناه.

[٤] ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ لا في أسمائه ولا في أوصافه، ولا في أفعاله تبارك وتعالىٰ.

فهذه السورة مشتملة علىٰ توحيد الأسماء والصفات.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفَلَقِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق]

[١] أي: ﴿قُلۡ﴾ متعوذًا ﴿أَعُوذُ﴾؛ أي: ألجأ وألوذ، وأعتصم ﴿بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾؛ أي: فالق الحب والنوىٰ، وفالق الإصباح.

[٢] ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ وهذا يشمل جميع ما خلق الله من إنس وجن وحيوانات، فيستعاذ بخالقها من الشر الذي فيها.

[٣] ثم خص بعد ما عمَّ، فقال: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾؛ أي: من شر ما يكون في الليل حين يغشىٰ الناس وتنتشر فيه كثيرٌ من الأرواح الشريرة والحيوانات المؤذية.

[٤] ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ﴾؛ أي: ومن شرِّ السواحر، اللاتي يستعنَّ علىٰ سحرهن بالنفث في العقد، التي يعقدِنها علىٰ السحر.

[٥] ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ **والحاسد** هو: الذي يحب زوال النعمة عن المحسود، فيسعىٰ في زوالها بما يقدر عليه من الأسباب، فاحتيج إلىٰ الاستعاذة بالله من شره، وإبطال كيده، ويدخل في الحاسد العاين، لأنه لا تصدر العين إلا من حاسد شرير الطبع، خبيث النفس.

فهذه السُّورة تضمَّنت الاستعاذة من جميع أنواع الشرور عمومًا وخصوصًا، ودلت علىٰ أن السحر له حقيقة يُخشىٰ من ضرره، ويستعاذ بالله منه ومن أهله.

تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّاسِ

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس]

[١-٦] وهذه السورة مشتملة علىٰ الاستعاذة برب الناس ومالكهم وإلـٰههم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ومادتها، الذي من فتنته وشرِّه، أنه يوسوس في صدور الناس، فيُحسِّن لهم الشر، ويريهم إياه في صورة حسنة، ويُنشِّط إرادتهم لفعله، ويثبِّطهم عن الخير، ويُريهم إياه في صورة غير صورته، وهو دائمًا بهذه الحال يوسوس ثُمّ يخنُس أي: يتأخر عن الوسوسة إذا ذكر العبد ربه واستعان علىٰ دفعه، فينبغي له أن يستعين ويستعيذ ويعتصم بربوبية الله للناس كلِّهم، وأن الخلق كلَّهم داخلون تحت الربوبية والملك.

فكل دابة هو آخذٌ بناصيتها، وبألوهيته التي خلقهم لأجلها؛ فلا تتمّ لهم إلا بدفع شر عدوهم، الذي يريد أن يقتطعهم عنها ويحول بينهم وبينها، ويُريد أن يجعلهم من حزبه ليكونوا من أصحاب السَّعير، والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس، ولهذا قال: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

والحمد لله رب العالمين أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، ونسأله تعالىٰ أن يتم نعمته، وأن يعفو عنا ذنوبًا لنا حالت بيننا وبين كثير من بركاته، وخطايا وشهوات ذهبت بقلوبنا عن تدبر آياته، ونرجوه ونأمل منه ألا يحرمنا خير ما عنده بشر ما عندنا، فإنه لا ييأس من رَوْح الله إلا القوم الكافرون، ولا يقنط من رحمته إلا الضالون.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ رسوله محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، صلاة وسلامًا دائمين متواصلين أبد الأوقات.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالحات.

تم تفسير كتاب الله بعونه وحسن توفيقه علىٰ يد جامعه وكاتبه عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله المعروف بابن سعدي غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين، وذلك في غُرّة ربيع الأول من سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وألف من هجرة محمد ﷺ.

ربنا تقبل منا واعفُ عنا إنك أنت الغفور الرحيم.

المحتويات

تَفْسِيرُ سُورَةِ عَمَّ ٣
تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّازِعَاتِ ٨
تَفْسِيرُ سُورَةِ عَبَسَ ١٣
تَفْسِيرُ سُورَةِ التَّكْوِيرِ ١٦
تَفْسِيرُ سُورَةِ الانْفِطَارِ ٢٠
تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمُطَفِّفِينَ ٢٢
تَفْسِيرُ سُورَةِ الإنْشِقَاقِ ٢٧
تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبُرُوجِ ٣٠
تَفْسِيرُ سُورَةِ الطَّارِقِ ٣٤
تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿سَبِّحِ﴾ ٣٦
تَفْسِيرُ سُورَةِ الْغَاشِيَةِ ٣٩
تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفَجْرِ ٤٣
تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ ٤٧
تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ ٥٠
تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿وَٱلَّيْلِ﴾ ٥٢
تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ ٥٥
تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ٥٧
تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿وَٱلتِّينِ﴾ ٥٩
تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿ٱقْرَأْ﴾ ٦١
تَفْسِيرُ سُورَةِ الْقَدَرِ ٦٣

تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿لَمۡ يَكُنِ﴾ ٦٥
تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ﴾ ٦٧
تَفْسِيرُ سُورَةِ الْعَادِيَاتِ ٦٩
تَفْسِيرُ سُورَةِ الْقَارِعَةِ ٧١
تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿أَلۡهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ٧٣
تَفْسِيرُ سُورَةِ الْعَصْرِ ٧٥
تَفْسِيرُ سُورَةِ الْهُمَزَةِ ٧٦
تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفِيلِ ٧٧
تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ ٧٨
تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمَاعُونِ ٧٩
تَفْسِيرُ سُورَةِ الْكَوْثَرِ ٨١
تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ ٨٢
تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّصْرِ ٨٣
تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿تَبَّتۡ﴾ ٨٥
تَفْسِيرُ سُورَةِ الإِخْلاَصِ ٨٦
تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفَلَقِ ٨٧
تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّاسِ ٨٨
المحتويات ٩٠

للمراسلة حول تصحيح الأخطاء المطبعية
Sunnah.College1@gmail.com